الكلمات الطيبات

في

المأثور عن الاسراء والمعراج من الروايات

وفيما وقع ليلتئذ من الآيات الباهرات

تأليف

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الاكبر

﴿ الشيخ محمد بخيت المطيعي ﴾

مفتي الديار المصرية سابقا

القاهرة

١٣٤٧ هـ

المطبعة السلفية - بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختار نبيّه محمداً واصطفاه وأرسله لكافة الناس بشيراً ونذيراً، واسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وعرج به الى السموات العلى فكان فيها كما هو في الارض سراجاً منيرا ، والصلاة والسلام على هذا النبي المعظم والسند القوي الاعظم ، وعلى آله وصحبه وسائر أتباعه وحزبه

﴿ أما بعد ﴾ فاني قد اعتدت أن أقرأ كل عام قصة الاسراء والمعراج للنبي السراج الوهاج ، فأردت أن أكتب ما رواه الحفاظ في صحاحهم مقتصراً على ذلك وعلى ما جاء في كتاب الله تعالى شارحاً ما جاء في كتاب الله وفي تلك الروايات معرضا عما عداها مما رواه غيرهم . فقلت والله التوفيق : ان الكلام في مقامين : الاول في الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى . الثاني العروج به ﷺ من المسجد الأقصى الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، وناجاه ربه العليم العلام . أما الاول فقد جاء فيه قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه السميع البصير) فقوله تعالى « سبحان » معناه على ما ذهب اليه بعض المحققين مصدر سبح يسبح تسبيحا بمعنى نزه تنزيها لا بمعنى قال سبحان الله وان جاء التسبيح بمعنى ذلك القول . والاسراء السير بالليل خاصة والهمزة للتعدية والمفعول محذوف على معنى أسرى ملائكته بعبده وانما احتيج الى هذا لانه اذا كان اسرى بمعنى سرى لزم من كون الباء للتعدية مشاركة الفاعل للمفعول . وهذا شيء ذهب اليه المبرد ، فاذا قلت قمت بزيد يلزم منه قيامك وقيام زيد عنده ، واذا جعلت الباء كالهمزة لايلزم ذلك كما لايخفى كذا في البحر . ولا يخفى أنه لامانع من جعله بمعنى سرى والباء للتعدية ، وحديث مشاركة الفاعل للمفعول هنا لا يضر لان المشاركة

معنوية بمعنى المصاحبة المعنوية أي انه تعالى صاحبه معه في الاسراء (وهو معكم اينما كنتم) غاية الامر أن المشاركة هنا بمعنى يليق به تعالى. ومصاحبة الله تعالى اما باعانته بدون واسطة أو بواسطة ملائكته فالمعنيان متحدان سواء جعلنا الباء للتعدية وأسرى بمعنى سرى ، أو جعلنا الهمزة للتعدية والمفعول محذوف. وايثار لفظة العبد للايذان بتمحضه ﷺ في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك أقصى الغايات ونهاية النهايات حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه . والعبودية على ما نص عليه العارفون أشرف الاوصاف وأعلى المراتب وبها يفتخر المحبوب. وعن أبي القاسم سليمان الانصاري انه قال : لما وصل النبي ﷺ الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة أوحى الله اليه يامحمد بم نشرفك ؟ قال : بنسبتي اليك بالعبودية . فأنزل الله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده) وجاء : قولوا عبد الله ورسوله . وقوله تعالى (ليلا) ظرف لاسرى وفائدة ذكره مع أن الاسراء لايكون الا ليلا الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء وانها بعض من اجزاء الليل . وتحقيق ذلك على ما صرح به الفاضل اليمني نقلا عن سيبويه وابن مالك ان الليل والنهار اذا عرفا كانا معياراً للتعميم وظرفا محدودا ، فلا تقول صحبته الليلة وأنت تريد ساعة منها الا أن تقصد المبالغة ، كما تقول أتاني أهل الدنيا لناس منهم ، بخلاف المنكر فانه لايفيد ذلك فلما جيء بالمنكر وعدل عن تعريفه هنا علم انه لم يقصد استغراق السرى له ، وهذا هو المراد من البعضية . وقوله تعالى (من المسجد الحرام) المراد منه البيت الحرام أي الكعبة اذ لم يكن غيره حينذاك كما يعلم من التاريخ الصحيح . وقوله تعالى (الى المسجد الاقصى) هو بيت المقدس وصفه بالاقصى أي الأبعد بالنسبة الى من بالحجاز فهو أبعد المساجد التي تزار من المسجد الحرام . وأخرج الشيخان والترمذي والنسائي من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال : قال رسول

ﷺ « بينا أنا في الحجر - وفي رواية الحطيم - بين النائم واليقظان اذ أتاني آت فشق ما بين هذه الى هذه فاستخرج قلبي فغسله ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له البراق فحملت عليه » الحديث . وفي بعض الروايات انه جاءه جبريل وميكائيل عليه السلام وهو مضطجع بالحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر فاحتملته الملائكة عليهم السلام وجاءوا به الى زمزم فألقوه على ظهره وشق جبريل صدره من ثغرة صدره الى أسفل بطنه بغير آلة ولا سيلان دم ولا وجود ألم ، ثم قال ميكائيل : ائتني بطست من ماء زمزم فأتاه به فاستخرج قلبه الشريف وغسله ثلاث مرات ثم أعاده الى مكانه وملأه ايماناً وحكمة وختم عليه ثم خرج به الى باب المسجد ، فاذا بالبراق مسرجا ملجماً فركبه . الخبر . وروى انه كان اذ ذاك في دار فاختة أم هانيء فقد أخرج النسائي عن ابن عباس وأبو يعلى في مسنده والطبراني في كبيره من حديثها أنه ﷺ كان نائماً في بيتها بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها ، وقال : مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد وأخبر به قريشاً فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وانكاراً . وارتد الناس ممن آمن به عليه الصلاة والسلام وسعى رجال الى أبي بكر فقال : « ان كان قال ذلك لقد صدق » ، فقالوا : تصدقه على ذلك ، قال : اني أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحة فسمي الصديق وكان في القوم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه إياه فجلا له فطفق ينظر اليه وينعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب فيه . فقالوا أخبرنا عن عيرنا فهي أهم الينا هل لقيت منها شيئاً ، قال نعم : مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته وشربته ووضعته كما كان فاسألوا هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا قالوا هذه آية . قال : ومررت بعير بني فلانٍ وفلانٌ وفلانٌ راكبان قعودا

فنفر بعيرهما مني فانكسر فاسألوهما عن ذلك ، قالوا هذه آية أخرى . ثم سألوه عن العدة والاحمال والهيئات فمثلت له العير فأخبرهم عن كل ذلك وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس وفيها فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان ، قالوا وهذه آية أخرى . فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس ليكذبوه إذ قال قائل هذه الشمس قد طلعت ، وقال آخر وهذه العير قد أقبلت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبين . قاتلهم الله أنى يؤفكون

وقد طعن القاضي عبد الجبار فيما ذكر من الشق ونحوه بما حاصله انه يلزم على وقوعه في الصغر وقبل النبوة تقدم المعجزة على النبوة وهو لايجوز ، ووقوعه بعد النبوة وان لم يلزم عليه ما ذكر الا أن ما ذكر معه من حديث الغسل وادخال الرأفة والرحمة والحكمة يرد عليه أن الغسل مما لا أثر له في التكميل الروحاني وانما هو لازالة أمر جسماني وانه لايصح ادخال ما ذكر وحشوه فانما هو شيء يخلقه الله تعالى في القلب ، وليس بشيء. فان تقدم الخارق على النبوة جائز عندنا ونسميه ارهاصا ، والأخبار كثيرة في وقوعه له عليه الصلاة والسلام قبل النبوة ، والغسل بالماء كان لازالة أمر جسماني ولا يبعد أن تكون ازالته وغسل المحل بماء مخصوص كماء زمزم — على ما صح في بعض الروايات ، ولذا قال البلقيني : انه أفضل من ماء الكوثر — موجبا لتبديل المزاج وهو مما له دخل في التكميل الروحاني ولذا يأمر المشايخ السالكين لديهم بالرياضة التي يحصل بها تبديل المزاج . ويرشد الى ذلك تغيير أحوال النفس وأخلاقها صبا وكهولة وشيخوخة . والمراد من ادخال الرأفة وحشو الايمان مثلا ادخال مابه يحصل كمال ذلك وكثيراً ما يسمى المسبب باسم السبب مجازاً ، ويحتمل أن يكون على حقيقته وتجسم المعاني جائز . وقال العارف ابن أبي جمرة كما في المواهب اللدنية للقسطلاني ما حاصله : ان ما دل كلام النبي

ﷺ على جوهريته وجسميته من أعيان المخلوقات التي ليس للحواس الى ادراكها سبيل هو كما دل عليه كلامه ﷺ في نفس الامر وان الحكم من المتكلم أو نحوه عليها بالعرضية انما هو باعتبار ما ظهر له بعقله وللعقل حد يقف عنده والحقيقة في الحقيقة ما دل عليه خبر الشارع المؤيد بالوحي الالٰهي والنور القدسي المحلق بجناحيها في جو الحقائق الى حيث لا يسمع لنحلة العقل دندنة ولا للرواة عنه عنعنة . فالايمان والحكمة ونحوهما مما دل عليه كلام النبي ﷺ على جوهريتهما محسوسة الامعان وان حسبها من حسبها كذلك اه . والامر فيه اعتقاداً وانكارا اليك والا ألزمك الاعتقاد فما أريد أن أشق عليك ، وقال بعض الأجلة لعل ذلك من باب التمثيل إذ تمثيل المعاني قد وقع كثيراً كما مثل له ﷺ الجنة والنار في عرض حائط مسجده الشريف ، وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس وهو ميل الى عدم الوقوع حقيقة . وقد قال غير واحد جميع ماورد من الشق واخراج القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة ولا يجوز تأويله لصلاحية القدرة له ، ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة فى تأويلهم نصوص سؤال الملكين وعذاب القبر ووزن الاعمال والصراط وغير ذلك بالتشهي . وأما حكمة ذلك مع امكان ايجاد ما ترتب عليه بدونه فقد أطالوا الكلام فى بيانها فى موضعه

وقد اختلف في سنته فذكر النووي في الروضة انه كان بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر ، وفي الفتاوي انه كان سنة خمس أو ست من النبوة . ونقل عنه الفاضل الملا أمين العمري في شرح ذات الشفاء الجزم بأنه كان في الثانية السنة عشرة من المبعث ، وعن ابن حزم دعوى الاجماع على ذلك وضعف ما في الفتاوي بأن خديجة رضي الله عنها لم تصل الخمس وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل كان قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر ، وقيل ثلاثة أشهر . ووقع في حديث شريك بن أبى نمر عن أنس انه كان قبل أن يوحى اليه ﷺ وقد خطأه

غير واحد في ذلك . ونقل الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين حديث شريك الواقع فيه ذلك بطوله ثم قال : هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك عن أنس زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسراء عن أنس جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث وأجاب عن ذلك محي السنة وغيره بما ستسمعه ان شاء الله تعالى . وكذا اختلف في شهره ولياته فقال النووي في الفتاوي كان في شهر ربيع الاول ، وقال في شرح مسلم تبعاً للقاضي عياض انه في شهر ربيع الآخر ، وجزم في الروضة بأنه في رجب ، وقيل في شهر رمضان ، وقيل في شوال ، وكان على ما قيل في الليلة السابعة والعشرين من الشهر وكانت ليلة السبت كما نقله ابن الملقن عن رواية الواقدي ، وقيل كانت ليلة الجمعة لمكان فضلها وفضل الاسراء ، ورد بأن جبرائيل عليه السلام صلى بالنبي ﷺ أول يوم بعد الاسراء الظهر ولو كان يوم الجمعة لم يكن فرضها الظهر ، قاله محمد بن عمر السفيري وفيه أن العمري ذكر في شرح ذات الشفاء أن الجمعة والجنازة وجبتا بعد الصلوات الخمس وفي شرح المنهاج للعلامة ابن حجر أن صلاة الجمعة فرضت بمكة ولم تقم بها لفقد العدد أو لأن شعارها الاظهار وكان ﷺ بها مستخفيا ، وأول من أقامها بالمدينة قبل الهجرة أسعد بن زرارة بقرية على ميل من المدينة ونقل الدميري عن ابن الاثير انه قال الصحيح عندي انها كانت ليلة الاثنين واختاره ابن المنير . وفي البحر : قيل ان الاسراء كان في سبع عشرة من شهر ربيع الاول والرسول ﷺ ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانيــة وعشرين يوماً ، وحكى انها ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر عن الجرمي . وقيل ليلة السابع والعشرين من رجب وقد اختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي في سيرته . وبالجملة فالأقوال في هذا كثيرة . وهي على ما نقل السفيري عن

الجمهور أفضل الليالي حتى ليلة القدر مطلقا ، وقيل هي أفضل بالنسبة الى النبي ﷺ ، وليلة القدر أفضل بالنسبة الى أمته ﷺ ورد بأن ما كان أفضل بالنسبة اليه ﷺ فهو أفضل بالنسبة الى أمته عليه الصلاة والسلام فهي أفضل مطلقا ، نعم لم يشرع التعبد فيها والتعبد في ليلة القدر مشروع الى يوم القيامة . هكذا اختلفوا ولم يستند واحد منهم الى حديث صحيح يقتضي القطع في شيء مما قالوا فالواجب الامساك عن تعيين وقتها واعتقاد ما جاء به القرآن والاحاديث الصحاح من انه ﷺ أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وان الملائكة أتوه وهو في الحجر أو في الحطيم ، فتعين انه كان قبل الهجرة كما هو مقتضى ما قدمناه من رواية الشيخين في صحيحيهما وغيرهما في غيرهما

وقد اختلفوا أيضاً في انه كان في اليقظة أو في المنام فعن الحسن أنه في المنام وروى ذلك عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما ولعله لم يصح عن عائشة كما في البحر، وكانت رضي الله عنها إذ ذاك صغيرة ولم تكن زوجته عليه الصلاة والسلام وكان معاوية كافراً يومئذ . واحتج لذلك بقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) لأن الرؤيا تختص بالنوم لغة ووقع في حديث شريك المتقدم ما يؤيده

وذهب الجمهور الى انه في اليقظة ببدنه وروحه ﷺ والرؤيا تكون بمعنى الرؤية في اليقظة كما في قول الراعي يصف صائدا :

وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلبا كان جما بلابله

وقال الواحدى انها رؤية اليقظة ليلا فقط وخبر شريك لا يعول عليه على ما نقل عن عبد الحق . وقال النووي :وأما ماقع في رواية شريك وهو نائم وفي أخرى عنه بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك أول وصول الملك اليه وليس في الحديث

ما يدل على كونه ﷺ نائما في القصة كلها واحتج الجمهور لذلك بأنه لو كان مناما ما تعجب منه قريش ولا استحالوه لان النائم قد يرى نفسه في السماء ويذهب من المشرق الى المغرب ولا يستبعده أحد ، وأيضا العبد ظاهر في الروح والبدن

وذهبت طائفة منهم القاضي أبو بكر والبغوى الى تصديق القائلين بأنه في المنام والقائلين بأنه في اليقظة وتصحيح الحديثين في ذلك بان الاسراء كان مرتين احداهما في نومه ﷺ قبل النبوة فأسرى بروحه توطئة وتيسيرا لما تضعف عنه قوى البشر واليه الاشارة بقوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) ثم أسرى بروحه وبدنه بعد النبوة.قال في الكشف وهذا هو الحق وبه يحصل الجمع بين الاخبار

وحكى المازري في شرح مسلم قولا رابعا جمع به بين القولين فقال كان الاسراء بجسده ﷺ في اليقظة الى بيت المقدس فكانت رؤية عين ثم أسرى بروحه الشريفة عليه الصلاة والسلام منه الى ما فوقه فكانت رؤيا قلب ولذا شنع الكفار عليه عليه الصلاة والسلام قوله أتيت الى بيت المقدس في ليلتي هذه ولم يشنعوا عليه قوله فيما سوى ذلك ولم يتعجبوا منه لان الرؤيا ليست محل التعجب، وليس معنى الاسراء بالروح الذهاب يقظة كالانسلاخ الذي ذهب اليه الصوفية والحكماء فانه وان كان خارقا للعادة ومحلا للتعجب أيضاً إلا انه أمر لا تعرفه العرب ولم يذهب اليه أحد من السلف

لكن قال ابن القيم في كتابه زاد المعاد وكل هذا خبط وهذه طريقة ضعفاء الظاهرية من أرباب النقل الذين اذا رأوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الروايات جعلوه مرة أخرى فكلما اختلفت عليهم الروايات عددوا الوقائع ، والصواب الذي عليه أئمة النقل ان الاسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ويا عجباً لهؤلاء الذين زعموا انه مرارا كيف ساغ لهم ان يظنوا انه في كل

مرة تفرض عليه الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمسا ثم يقول : أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ، ثم يعيدها في المرة الثانية الى خمسين ، ثم يحطها عشرا عشرا ، وقد غلط الحفاظ شريكا في ألفاظ من حديث الاسراء ومسلم أورد المسند منه ثم قال فقدم وأخر وزاد ونقص ولم يسرد الحديث فأجاد رحمه الله اه وابن القيم بكلامه هذا يشير الى ما قاله الحافظ عبد الحق في حديث شريك والى عدم قبول ما أجاب به النووي وغيره من تعدد الاسراء والمعراج لعدم موافقته لما جاء في القصة من فرض الصلاة وغير ذلك من انكار قريش واستنعاتهم المسجد الأقصى منه ﷺ وسؤالهم له عن غيرهم واخباره بما أخبرهم به وموافقة خبره للواقع فان كل ذلك مما يقطع بأن الاسراء والمعراج لم يكونا الا مرة واحدة على الوجه الذي ذكره الحفاظ في صحاحهم . فيكون في زمان واحد وفي مكان واحد، وعلى ذلك فاختلاف الروايات في المكان الذي كان فيه النبي ﷺ عند ما جاءه الملكان لا يمنع من الاتحاد لأن الأماكن التي جاءت في الروايات متقاربة لأن بيت أم هانيء هو بيته والاضافة اليه لادنى ملابسة كما أن الملكين أتياه في الحجر محمولٌ على أن ذلك بعد أن حملاه من بيت أم هانيء الى الحجر وكل هذه الاماكن في الحرم ومتقاربة . وكذلك رواية أنه كان معه رجلان عمه وابن عمه لا تعارضها الرواية التي لم تذكر ذلك لان الزيادة ناطقة والرواية الأخرى ساكتة عن الزيادة والساكت لا يعارض الناطق فكان المعول عليه هو ما ذكرناه من أن الاسراء والمعراج لم يكونا الا مرة واحدة وانه كان مضطجعاً بين عمه وابن عمه في بيت أم هانيء . ولذلك قال الاكثر ان المعراج كالاسراء بالروح والبدن ولا استحالة في ذلك . وما قاله الفلاسفة من امتناع الخرق والالتئام على الافلاك ووجود كرات نارية وغير ذلك مما يمنع الوصول الى السماء قد تبين كذبه ، وان

الافلاك ليست أجساماً صلبة وأنه لا استحالة في قبولها الخرق والالتئام ، وان كون هناك كرة نارية لم يثبت بل الذي ثبت خلافه وان الكواكب هي التي تسبح في أفلاكها كما قال تعالى « كل في فلك يسبحون » فنسب السباحة التي هي السير مع الانبساط كسباحة السمك في الماء كما قاله ابن عباس الى الكواكب دون الافلاك ولا استحالة أيضاً من حيث بعد المسافة مع قصر الزمن جداً ولا غرابة فيه ألا ترى أنه قد ثبت بالهندسة أن مساحة قطر جرم الأرض ألفان وخمسمائة وخمسة وأربعون فرسخاً ونصف فرسخ وان مساحة قطر كرة الشمس خمسة أمثال ونصف مثل لقطر جرم الأرض وذلك أربعة عشر ألف فرسخ وان طرف قطرها المتأخر يصل موضع طرفه المتقدم في ثلثي دقيقة فتقطع الشمس بحركة الأرض على المعروف الآن أو بحركة الفلك الأعظم على رأي القدماء أربعة عشر ألف فرسخ في ثلثي دقيقة من ساعة مستوية والله تعالى القادر على جميع الممكنات قادر على أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي ﷺ وفيما يحمله عليه الصلاة والسلام

والآية وان لم تتعرض لانه ﷺ كان في الاسراء به محمولاً على شيء لكن صحت الاخبار بأنه ﷺ أسرى به على البراق من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فيلتحق بياناً لما أجملته الآية

وقد ذكر الثعالبي في تفسيره في وصف البراق أنه كان اذا أتى على واد طالت يداه وقصرت رجلاه واذا أتى على عقبة طالت رجلاه وقصرت يداه وكانت المسافة في غاية الطول . ففي حقائق الحقائق كانت المسافة من مكة الى المقام الذي أوحى الله تعالى فيه الى نبيه عليه الصلاة والسلام ما أوحى قدر ثلاثمائة ألف سنة وقيل خمسين ألفاً وقيل غير ذلك ، وكيف يمكن أن يكون أدنى اشتباه في ذلك فضلا عن الاستحالة وقد كان معه ﷺ جبريل وهو الذي

كان هبوطه على الأنبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف ، فهو لعمري أسرع من حركة ضياء الشمس على ما قرروه في الحكمة الجديدة . وإنما يستغرب ويستبعد لو كان ﷺ ماشياً على قدميه أما اذا كان محمولا على البراق وهو من الملائكة ومعه جبريل وهو منهم وقد علمت مقدار مدة هبوطه الى الانبياء ورجوعه الى السماء. والملائكة أنوار الهية أقوى من ضياء الشمس فهم أسرع سيراً منه كما لا يخفى

وممن صرح بأن الاسراء والمعراج كان بالجسد والروح خاتم الولاية سيدى محمد بن عربي الحاتمي المشهور بمحيي الدين ، فقال في الباب السادس عشر بعد الثلاثمائة : اعلم أيها الولي الحميم نور الله بصيرتك أن رسول الله ﷺ لما كان خلقه القرآن وتخلق بالاسماء وكان الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه العزيز انه تعالى استوى على العرش على طريق التمدح والثناء على نفسه اذ كان العرش أعظم الاجسام فجعل لنبيه عليه الصلاة والسلام من هذا الاستواء نسبة على طريق التمدح والثناء عليه حيث كان أعلى مقام ينتهي اليه من أسرى به من الرسل وذلك يدل على أنه أسرى به ﷺ بجسمه ، ولو كان الاسراء به رؤيا لما كان الاسراء والوصول الى هذا المقام تمدحاً ، ولا وقع من الاعراب في حقه إنكار على ذلك ، لأن الرؤيا يصل الانسان فيها الى مرتبة رؤية الله تعالى وهي أشرف الحالات وفي الرؤيا ما لها ذلك الموقع من النفوس اذ كل انسان بل الحيوان له قوة الرؤيا فقال ﷺ عن نفسه على طريق التمدح لانه جاء بحرف الغاية وهو حتى فذكر أنه اسرى به حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الاقلام وهو قوله تعالى (لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) والضمير في أنه يعود على محمد ﷺ فانه أسرى به فرأى الآيات وسمع صريف الاقلام فكان يرى الآيات ويسمع منها ما حظه

السماع وهو الصوت فانه عَبَّرَ عنه بالصريف ، والصريف الصوت . وبعد أن استدل على أن الصريف معناه لغة الصوت قال : فدل على أنه بقي له من الملكوت قوة ما لم يصل اليه بجسمه من حيث هو راء ولكن من حيث هو سميع فوصل الى سماع أصوات الاقلام وهي تجري بما يحدث الله في العالم من الاحكام فهذه الاقلام رتبتها دون رتبة القلم الاعلى ودون اللوح المحفوظ فان الذي كتبه القلم الاعلى لا يتبدل وسمي اللوح المحفوظ من المحو فلا يمحى ما كتب فيه وهذه الاقلام تكتب في ألواح المحو والاثبات وهو قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) ومن هذه الالواح تنزل الشرائع والصحف والكتب على الرسل صلوات الله عليهم وسلامه ، فلهذا يدخل فى الشرائع النسخ ويدخل فى الشرع الواحد النسخ فى الحكم وهو عبارة عن انتهاء مدة الحكم لا عن البداء فان ذلك يستحيل على الله تعالى ومن هنا كان يتردد ﷺ فى شأن الصلوات الخمسين لما فرضت عليه بين موسى وبين ربه الى هذا الحد كان منتهاه فيمحو الله عن امة محمد ﷺ ما شاء الله من تلك الصلوات التى كتبها في هذه الالواح الى أن اثبت منها هذه الخمسة وأثبت لمصليها أجر الخمسين وأوحى اليه أنه لا يبدل القول لديه فما رجع بعد ذلك من موسى في شأن هذا الامر ومن هذه الكتابة ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده . انتهى المقصود من هذا الباب مما يتعلق بالاسراء.

واما ما يتعلق بالمعراج فبعد ان بين رضى الله عنه في الباب الرابع عشر بعد الثلثمائة ما يتعلق بمعاريج الملائكة وانه لا يعرج من الملائكة الا من نزل وان لهم بنظرهم الى الحق في كل شيء ينزلون اليه فهم على الدوام إذا توجهوا لا يتوجهون الا الى الحق. وللحق صفة العلو على الاطلاق فهم من حيث نظرهم الى ما ينزلون اليه يقال تنزل الملائكة ومن حيث أنهم ينظرون الى الحق سبحانه

وتعالى يقال تعرج الملائكة ، فهم في نزولهم أصحاب عروج فنزولهم الى الخلق عروج الى الحق قال : ثم إن الله عين للرسل معارج يعرجون عليها وهم أتباع الاتباع فان الرسول تابع للملك والولي تابع للرسول ولهذا قيل للرسول (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) فهو مصغ تابع للملك ونحن مع الرسول بهذه المثابة فاذا نزل الملك بالوحي على الرسول وتلقاه منه القاه الرسول على التابع وهو الصاحب فتلقاه منه فاذا عرج الملك عرج بذاته لانه رجوع الى أصله وإذا عرج الرسول ركب البراق فعرج به البراق بذاته وعرج الرسول لعروج البراق بحكم التبعية والحركة القسرية فكان محمولا في عروجه حمله من عروجه ذاتي فتميز عروج الرسول عن عروج الملك ثم انه لما وصل الى الذي لايتعداه البراق وليس في قوته أن يتعداه تدلى الى الرسول الرفرف فنزل عن البراق واستوى على الرفرف وصعد به الرفرف وفارقه جبريل فسأله الصحبة فقال انه لايطيق ذلك وقال له «ومامنا الا له مقام معلوم» فلو أراد الحق صعوده فوق ذلك المقام لكان محمولا مثل ماحمل الرسول ﷺ ولما وصل المعراج الرفرفي بالرسول ﷺ الى مقامه الذي لايتعداه الرفرف زج به في النور زجة غمره النور من جميع نواحيه وأخذه الحال فصار يتمايل فيه تمايل السراج اذا هب عليه نسيم رقيق يميله ولا يطفئه ولم ير معه أحداً يأنس به ولا يركن اليه وقد أعطته المعرفة انه لايصح الانس الا بالمناسب ولا مناسبة بين الله وعبده وإذا أضيفت المؤانسة فانما ذلك الى وجه خاص يرجع الى الكون فأعطته ﷺ هذه المعرفة الوحشة لانفراده بنفسه وهذا مما يدل أن الاسراء كان بجسمه ﷺ لان الارواح لاتتصف بالوحشة والاستيحاش فلما علم الله ذلك منه وكيف لايعلمه وهو الذي خلقه في نفسه وطلب عليه السلام الدنو منه بقوة المقام الذي هو فيه فنودى بصوت يشبه صوت أبي بكر تأنيسا له به اذ كان أنيسه في المعهود فحن لذلك

وأنس به وتعجب من ذلك اللسان في ذلك الموطن وكيف جاءه من العلو وقد تركه في الارض وقيل له في ذلك النداء يامحمد قف ان ربك يصلي فأخذه بذلك الخطاب انزعاج وتعجب كيف تنسب الصلاة الى الله تعالى فتلا عليه في ذلك المقام (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الآية فعلم ما أراد بنسبة الصلاة الى الله فسكن روحه ﷺ مع كونه سبحانه وتعالى لايشغله شأن عن شأن ولكن قد وصف نفسه بأنه لايفعل أمراً حتى يفرغ من أمر آخر فقال (سنفرغ لكم أيها الثقلان) فمن هذه الحقيقة قيل له ﷺ قف ان ربك يصلي أي لايجمع بين شغلين يريد بذلك العناية بمحمد ﷺ حيث يقيمه في مقام التفرغ له فهو تنبيه على العناية به والله أجل وأعلى في نفوس العارفين به من ذلك فان الذي ينال الانسان من المتفرغ اليه أعظم وأمكن من الذي يناله ممن ليس له حال التفرغ اليه لان تلك الامور تجذبه عنه فهذا في حال النبي ﷺ وتشريفه فكأنه معه في هذا المقام بمنزلة ملك استدعى بعض عبيده ليقربه ويشرفه فلما دخل حضرته وقعد في منزلته طلب أن ينظر الى الملك في الامر الذي وجه اليه فيه فقيل له تربص قليلا فان الملك في خلوته يعزل لك خلعة تشريف يخلعها عليك فما كان شغله عنه الا به ولذلك فسر له صلاة الله بقوله تعالى (هو الذي يصلي عليكم)فتشرف بأن قيل له انما غاب عنك من أجلك وفي حقك فلما أدناه تدلى اليه فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد مارأى العين أي تجلى له في صورة علمه به فلذلك أنس بمشاهدة من علمه فكان شهود تأنيس في ذلك المقام . فقد علمت مما أبنته لك معارج الرسل من معارج الملائكة صلوات الله على الجميع فلهذا المعراج خطاب خاص تعطيه خاصية هذا المعراج بخاصية ماعنده وخاصيته ماتنفرد به الرسالة فكان الولي اذا عرج به فيه يكون رسولا وقد أخبر رسول الله ﷺ ان باب الرسالة والنبوة قد أغلق فتبين لك ان هذا المعراج لاسبيل

للولى اليه البتة ألا ترى النبي ﷺ في هذا المعراج قد فرضت عليه وعلى أمته خمسون صلاة فهو معراج تشريع وليس للولى ذلك فلما رجع الى موسى عليه السلام قال له راجع ربك يخفف عن أمتك الحديث الى أن صارت خمسا بالفعل وبقيت خمسين في الأجر والمنزلة عند الله والحديث صحيح في ذلك وفيه طول الى آخر ما أطال به في هذا الباب من بيان معارج الاولياء وان الانبياء والرسل يشاركون الاولياء في معارجهم باعتبار انهم أولياء لا باعتبار أنهم أنبياء ورسل وان براق الاولياء أعمالهم ورفرفهم صدقهم فيكون له ذلك معراجا ورفرفا معنويا يناله فيه ماتعطيه خواص الهمم من مراتب الولاية والتشريف

واياك أن تظن أن هنالك طي مسافة على نحو مايثبته الصوفية وبعض الفقهاء للاولياء كرامة وقد جهّل بعضُ الحنفية مثبتيه لهم وكفرهم آخرون وليس له وجه ظاهر بل ربما يلزم مثبتيه القول بتداخل الجواهر . والفلاسفة والمتكلمون سوى النظام يحيلونه ويبرهنون على استحالته ، وادعى بعضهم الضرورة في ذلك وقالوا المنع مكابرة

وانما أسرى به ﷺ ليلا لمزيد الاحتفال به عليه الصلاة والسلام فان الليل وقت الخلوة والاختصاص ومجالسة الملوك ولا يكاد يدعو الملك لحضرته ليلا إلا من هو خاص عنده وقد أكرم الله تعالى فيه قوما من أنبيائه بأنواع الكرامات وهو كالاصل للنهار ، وأيضا الاهتداء فيه للمقصد أبلغ من الاهتداء في النهار وأيضاً قالوا ان المسافر يقطع في الليل مالا يقطع في النهار ومن هنا جاء :عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار . وأيضا أسرى به ليلا ليكون مايعرج اليه من عالم النور المحض أبعد عن الشبه بما يعرج منه من عالم الظلمة وذلك أبلغ في الاعجاب . وقال ابن الجوزى في ذلك ان النبي ﷺ سراج والسراج لا يوقد الا ليلا وبدر وكذا مسير البدر في الظلم الى غير

ذلك من الحكم التي لا يعلمها الا الله تعالى

ولم تنص الآية على دخوله ﷺ في المسجد الاقصى ، الا أن الاخبار الصحيحة نصت على ذلك

وقوله سبحانه (الذي باركنا حوله) صفة مدح للمسجد الاقصى ، وفيها ازالة اشتراك عارض . وبركته بما خصه الله به من كونه متعبد الانبياء عليهم السلام وقبلة لهم وكثرة الانهار والاشجار حوله. وفي الحديث انه تعالى بارك فيما بين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس . وقيل بركته أن جعل الله مياه الارض كلها تنفجر من تحت صخرته . قال الالوسي والله أعلم بصحة ذلك

وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال والاربعة التي يمنع من دخولها الدجال فقد أخرج أحمد في المسند ان الدجال يطوف الارض الا أربعة مساجد: مسجد المدينة ومسجد مكة والاقصى والطور . والصلاة فيه مضاعفة ، فقد أخرج أحمد أيضا وأبو داود وابن ماجه عن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ انها قالت: يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس ، قال أرض المحشر والمنشر ائتوه وصلوا فيه فان صلاة فيه بألف صلاة ، وفي رواية لاحمد عن بعض نسائه عليه الصلاة والسلام انها قالت يارسول الله فان لم تستطع احدانا أن تأتيه قال اذا لم تستطع احدا كن أن تأتيه فلتبعث اليه زيتا يسرج فيه فان من بعث اليه بزيت يسرج فيه كان كمن صلى فيه ، وروى بعضه أبو داود

وهو ثاني مسجد وضع في الارض لخبر أبي ذر: قلت يارسول الله أى مسجد وضع في الارض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه

وقد أسسه يعقوب بعد بناء ابراهيم عليه السلام الكعبة بما ذكر في الحديث وجدده سليمان أو أتم تجديد أبيه عليهما السلام بعد ذلك بكثير . والكلام فيما

يتعلق بذلك مفصل في محله . وقوله تعالى (لنريه من آياتنا) أي لنرفعه الى السماء حتى يرى ما يرى من العجائب العظيمة: فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قد عرج به من صخرة بيت المقدس واجتمع في كل سماء مع نبي من الانبياء عليهم السلام كما في صحيح البخاري وغيره واطلع عليه الصلاة والسلام على أحوال الجنة والنار ورأى من الملائكة ما لا يعلم عددهم الا الله تعالى (انه هو السميع البصير) يجوز أن يكون الضمير له تعالى كما هو الاظهر وعليه الاكثر فيطابق قوله تعالى (بعبده) ويؤيد ذلك الاختصاص بما يوقع هذا الالتفات أحسن مواقعه وينطبق عليه التعليل أتم انطباق . فان المعنى قربه وخصه بهذه الكرامة لانه سبحانه مطلع على أحواله وعالم باستحقاقه لهذا المقام أو أنه تعالى هو السميع لأقوال ذلك العبد البصير بأفعاله وبكونها مهذبة خالصة عن شوائب الهوى مقرونة بالصدق والصفاء مستأهلة للقرب والزلفى. ويجوز أن يكون الضمير له ﷺ ويكون المعنى ان هذا العبد هو السميع لكلامنا البصير لذاتنا أو أن العبد الذي شرفته بهذا التشريف هو المستأهل له فانه السميع لاوامري ونواهيَّ العامل بهما البصير الذي ينظر بنظرة العبرة في مخلوقاتي فيعتبر أو البصير بالآيات التى أريناه إياها كقوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) وأيد هذا بمطابقة الضمائر العائدة عليه ﷺ وكذا لما عبر به عنه من قوله سبحانه عبده ولعل السر في مجيء الضمير محتملا للأمرين - كما قال الطيبي الاشارة الى أنه ﷺ انما رأى رب العزة وسمع كلامه به سبحانه كما في الحديث القدسي (بي يسمع وبي يبصر) وانما أتى بضمير الفصل اما لان سماعه تعالى بلا اذن وبصره بلا عين على نحو لايشاركه فيه تعالى أحد ، واما للاشعار باختصاصه ﷺ بتلك الكرامة

(وهذا هو المقام الثاني) وهو عروجه الى السماء وهو ثابت بالقرآن وبالاحاديث الصحيحة . أما القرآن فقد قال تعالى (والنجم اذا هوى) أي

أقسم بالنجم اذا غرب وقيل اذا طلع (ما ضل صاحبكم وما غوى) أي ما عدل عن طريق الحق وما اعتاد باطلا قط فنفى عنه الضلال لبيان انه على الصواب في أقواله وأفعاله ونفى عنه الغي الذي هو الجهل مع اعتقاد فاسد وان كان داخلا فيما قبله للاعتناء بالاعتقاد وللاشارة الى انه هو الذي عليه المدار في النجاة وصحة الاعمال،والخطاب لقريش. وأورده تعالى بعنوان الصاحب لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة واحاطتهم خبراً ببراءته ﷺ مما نفى عنه بالكلية وباتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى واتباع الحق والسداد والرشاد فان طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما ففي ذلك تأكيد لاقامة الحجة عليهم، وانما أقسم هنا بالنجم اذا غرب أو طلع للاشارة الى أن محمداً ﷺ هو النجم الذي يهتدى به فكيف يمكن أن يكون ضالا وغاويا (وما ينطق عن الهوى) أي النبي ﷺ ما يصدر نطقه فيما أتاكم به من جهته عز وجل كالقرآن أو من القرآن عن هوى نفسه ورأيه أصلا (ان هو الا وحي يوحى) أي ما الذي ينطق به الا وحي من الله عز وجل يوحيه الله سبحانه اليه (علمه شديد القوى ذو مرة) أي علم صاحبكم وهو محمد ﷺ جبريل الذي هو شديد القوى كما قاله ابن عباس وقتادة والربيع . فان جبريل عليه السلام هو الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين. وكان هبوطه على الانبياء عليهم السلام وصعوده في أسرع من رجعة الطرف فهو لعمري أسرع من حركة ضياء الشمس على ماقرروه في الحكمة الجديدة ، والذي هو ذو مرة أي حصافة واستحكام في العقل ففي الاول وصفه بالقوة في الفعل وفي هذا وصفه بقوة النظر والعقل وهو كناية عن ظهور الآثار البديعة . (فاستوى) أى فاستقام جبريل

على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها وذلك عند غار حراء في مبدإ النبوة وكان له عليه السلام ـ كما في حديث الامام أحمد وعبد بن حميد وجماعة عن ابن مسعود ـ ستمائة جناح كل جناح منها بسد الافق فالاستواء ههنا بمعنى اعتدال الشيء في ذاته كما قاله الراغب وهو المراد بالاستقامة أيضا ، وليس المراد منه ضد الاعوجاج ومن ذلك استوى الثمر بمعنى نضج ، يعني استوى جبريل مع محمد عليهما السلام ليلة المعراج (وهو بالافق الاعلى) أي وجبريل بالافق الاعلى وهو الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر وأصل معنى الافق الناحية . وما ذكره أهل الهيئة معنى اصطلاحي لهم

واختلف في الضمير فقيل عائد الى النبي ﷺ والضمير في استوى عائد الى جبريل عليه السلام وجوز العكس ولا يخفى ما في ذلك من تشتيت الضمائر فالاقرب أن كل الضمائر عائدة الى جبريل عليه السلام (ثم دنا فتدلى) أي قرب جبريل من النبي ﷺ فتعلق جبريل في الهواء ، ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير ، والدوالي الثمر المعلق كعناقيد العنب (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي فكان جبريل عليه السلام قريباً منه ﷺ مقدار قوسين ، وفيه اشارة الى ما كانت العرب تفعله في الجاهلية اذا تحالفوا فانهم كانوا يخرجون قوسين ويلصقون احداها بالاخرى فيكون القاب ملاصقا للآخر حتى كأن القوسين ذاتا قاب واحد ثم ينزعونهما معا ويرمون بهما سهما واحدا فيكون ذلك اشارة الى أن رضا أحدهم رضا الآخر وسخطه سخطه لا يمكن خلافه .ولا يخفى حسن موقع هذا الكلام في هذا الموضع ودلالته على شدة الاتصال بين النبي ﷺ وجبريل عليه السلام (فأوحي الى عبده ما أوحى) أي فأوحى جبريل الى عبدالله الذي أوحاه اليه ، وأبهم الوحي للتفخيم ، ويجوز عود الضمير في قوله ما أوحى الى الله تعالى ، أي أوحى جبريل الى عبدالله ما أوحاه الله الى جبريل ، والاول مروى

عن الحسن وهو أحسن (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي ما كذب فؤاد النبي ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام . أي ما قال فؤاده ﷺ حين أبصر جبريل لم أعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره ، فما كذب بمعنى ما قال الكذب .وقيل المعنى ما كذب الفؤاد البصر فيما حكاه له من صورة جبريل عليه السلام،وعلى كل حال فهذا من عالم الملكوت وكل ما كان في عالم الملكوت يدرك أولا بالقلب ثم ينتقل منه الى البصر . (أفتمارونه على ما يرى) خطاب لقريش أي أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة . (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) أي أقسم لقد رأى النبي ﷺ جبريل في صورته التي خلقه الله عليها مرة أخرى . ومرة أصلها مصدر مر يمر فعبر عن المرة بنزلة ولم يقل مرة بدلها ليفيد أن الرؤية في هذه المرة كانت بنزول ودنو كالرؤية في المرة الاولى الدال عليها ما مر .والمراد من هذه الجملة القسمية تأكيد نفي الريبة والشك عن المرة الاخيرة وكانت ليلة الاسراء (عند سدرة المنتهى) وهي شجرة نبق عن يمين العرش في السماء السابعة على المشهور . وفي حديث أخرجه مسلم والترمذي وأحمد وغيرهم في السماء السادسة نبقها كقلال هجر وأوراقها مثل آذان الفيلة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها . وأخرج الحاكم وصححه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما مرفوعا: يسير الراكب في الفنن منها مائة سنة والاحاديث ظاهرة في انها شجرة نبق حقيقة والنبات في الشاهد يكون ترابياً ومائياً وهوائياً ولكن لا يبعد من الله تعالى أن يخلقه في أي مكان شاء . وقد أخبر الله سبحانه عن شجرة الزقوم انها تنبت في أصل الجحيم وعلى كل حال فهي من عالم الملكوت لا من عالم الشهادة كما سيأتي الكلام عليه . وقيل اطلاق السدرة عليها مجاز لانها تجتمع عندها الملائكة عليهم السلام كما يجتمع الناس في ظل السدرة . وقيل لها سدرة المنتهى لانها كما أخرج عبد بن حميد وابن أبي

حاتم عن ابن عباس اليها ينتهي علم كل عالم وما وراءها لا يعلمه الا الله تعالى أو لانها ينتهي اليها علم الأنبياء ويعزب علمهم عما وراءها أو لانها تنتهي اليها أعمال الخلائق بأن تعرض على الله عندها أو لانها ينتهي اليها ما ينزل من فوقها وما يصعد من تحتها ، أو لانها تنتهي اليها أرواح الشهداء أو المؤمنين مطلقاً ، أو لانتهاء من رفع اليها في الكرامة . وفي الكشاف كأنها منتهى الجنة وآخرها ، ولا يخفى أنه لا مانع أن تكون جامعة لكل ما ذكر من الاقوال لعدم التنافي ويكون كل قائل اقتصر فيما يقول على ما سمعه ورواه . (عندها جنة المأوى) أي عند السدرة المذكورة جنة المأوى أي الجنة التي يأوى اليها المتقون يوم القيامة وهي جنة الخلد كما روى عن الحسن واستدل به على أن الجنة في السماء وقال ابن عباس ـ بخلاف في النقل عنه ـ وقتادة هي جنة أخرى تأوي اليها أرواح الشهداء وليست بالتي وعد المتقون . وقيل هي جنة تأوى اليها الملائكة ، والاول هو الاظهر حملا للفظ على معناه المعروف ، لكن الثاني والثالث يوافقان ما تقدم في تفسير المنتهى ، خصوصاً وان حديث ابن عباس السابق صريح في أنها في السماء السادسة ولم يقل أحد أن الجنة فيها بل الذي عين مكانها قال انها فوق الكرسي وسقفها عرش الرحمن ومن هذا تعلم حال ما قاله الزمخشري من أنها منتهى الجنة وآخرها الا اذا حمل على ماقاله قتادة خصوصاً وقد قرأ عليٌّ وأبو الدرداء وأبو هريرة وابن الزبير وأنس وَزِرٌّ ومحمد بن كعب وقتادة جنه بهاء الضمير وهو ضمير النبي ﷺ وجنّ فعل ماض أي عندها ستره ايواء الله تعالى وجميل صنعه به أو ستره المأوى بظلاله فانّ هذا لا يلائم أن المراد في القراءة المتواترة جنة الخلد . (إذ يغشى السدرة ما يغشى) أي يغطي السدرة ما يغطيها من الامر الذي لا يحيط به نطاق البيان . وورد في بعض الأخبار تعيين هذا الغاشي : فعن الحسن غشيها نور رب العزة جل شأنه فاستنارت ونحوه

ما روي عن أبي هريرة يغشاها نور الخلاق سبحانه، وعن ابن عباس غشيها رب العزة ،وهو على هذا من المتشابه . وقال ابن مسعود ومجاهد وابراهيم النخعي يغشاها جراد من ذهب . وروي عن مجاهد أن ذلك تبدل أغصانها لؤلؤاً وياقوتاً وزبرجداً.وأخرج عبد بن حميد عن سلمة قال استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعـالى أن ينظروا الى النبي ﷺ فأذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا اليه عليه الصلاة والسلام ، وعلى هذا يكون الغشيان بمعنى الاتيان وهو يأتي بمعنى الاتيان كما يأتي بمعنى التغطية . وقوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) أي ما مال بصره عليه الصلاة والسلام عما رآه وما تجاوزه بل أثبته اثباتاً صحيحاً مستقيما وهذا تحقيق للامر ونفي للريب عنه . أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها الى ما لم يؤمر برؤيته ، ولا مانع من أن يكون لعموم الامرين وحذف المتعلق يؤذن به . وقوله تعـالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أقسم تعالى أنه قد رأى الآيات الكبرى من آياته تعالى وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد جاء في بعض الاخبار تعيين ما رأى عليه الصلاة والسلام: أخرج البخاري وابن جرير وابن المنذر وجماعة عن ابن مسعود أنه قال في الآية رأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سد الافق ، وعن ابن زيد رأى جبريل عليه السلام في الصورة التي هو بها والذي ينبغي أن لا يحمل ذلك على الحصر كما لا يخفى فقد رأى ﷺ آيات كبرى ليلة المعراج لا تحصى ولا تكاد تستقصى . هذا وقد فسرت الآيات التي ذكرناها بغير ما ذكرناه فعن الحسن أن المراد بشديد القوى هو الله تعالى لا جبريل وفسر ذو مرة عليـه بذي حكمة ويكون الضميران في قوله تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى كما قال أبوحيان عائدين اليه تعالى،وقال ان ذلك على معنى العظمة والقدرة والسلطان وعليه أيضاً تجعل الضمائر في قوله تعالى « ثم دنا فتدلى فـكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى

الى عبده ما أوحى » له عز وجل وكذا الضمير المنصوب في قوله ولقد رآه نزلة أخرى . فقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يحلف لقد رأى محمد عليه الصلاة والسلام ربه وفسر دنوه تعالى من النبي ﷺ برفع مكانته عليه الصلاة والسلام عنده سبحانه وتدليه جل وعلا بجذبه بشراشره الى جناب القدس ، ويقال لهذا الجذب الفناء في الله تعالى عند المتألهين ، وأريد بنزوله تعالى نوع من دنوه المعنوي جل شأنه . وجوز بعضهم أن تكون الضمائر في دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى على ما روي عن الحسن للنبي ﷺ . والمراد ثم دنا النبي ﷺ من ربه تعالى فكان منه عز وجل قاب قوسين أو أدنى والضمائر في قوله فأوحى الخ لله تعالى .وأشار بقوله الى عبده ولم يقل اليه الى التفخيم فالآية على هذا من المتشابه والأمر فيه مشهور . وذهب غير واحد في قوله تعالى علمه شديد القوى الى قوله سبحانه وهو بالافق الأعلى الى أنه في أمر الوحي وتلقيه من جبريل عليه السلام على ما سمعت فيما تقدم . وفي قوله تعالى ثم دنا فتدلى الخ الى أنه في أمر العروج الى الجناب الأقدس ودنوه سبحانه منه ﷺ ورؤيته عليه الصلاة والسلام إياه جل وعلا . فالضمائر في دنا وتدلى وكان وأوحى وكذا الضمير المنصوب في رآه لله عز وجل ويشهد لهذا ما في حديث أنس عند البخاري من طريق شريك بن عبد الله : ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى اليه فيما أوحى خمسين صلاة الحديث فانه ظاهر فيما ذكر واستدل به مثبتو الرؤية كحبر الامة ابن عباس رضي الله عنهما وغيره . وقالت عائشة رضي الله عنها خلاف ذلك فنفت الرؤية مطلقاً . أخرج مسلم عن مسروق قال : كنت متكئاً عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله تعالى الفرية قلت ما هن قالت من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على

الله الفرية ، قال وكنت متكئاً فجلست فقلت يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله تعالى ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى . فقالت : أنا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : لا ، انما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين : رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء الى الأرض الحديث . وأخرج البخاري أيضاً عن مسروق قال قلت لعائشة رضي الله عنها يا أماه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت لقد قف شعري مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت « لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب » ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت « وما تدري نفس ما ذا تكسب غداً » ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ، ثم قرأت « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » ولكنه رأى جبريل عليه السلام مرتين. اه وفي رواية ابن مردويه من طريق أخرى عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق فقالت : أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ فقال : انما رأيت جبريل منهبطاً. ولا يخفى أن جواب رسول الله ﷺ ظاهر في أن الضمير المنصوب في رآه ليس راجعاً اليه تعالى بل الى جبريل واستدلت عائشة على ذلك بقوله تعالى « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار » وبقوله تعالى « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا » فعلى هذا عائشة رضى الله عنها تنفي الرؤية مطلقاً كما قلنا وهو ظاهر ما قدمناه عن البخاري. ووجه الاستدلال بالآية الاولى أن الله عز وجل نفى أن تدركه الأبصار ونفي الادراك يقتضي نفي الرؤية

وأجاب مثبتو الرؤية بأن المراد بالادراك الاحاطة وهو ادراك الكنه وهم يقولون بنفيه أيضا ، ونفى الاحاطة لا يستلزم نفى الرؤية وقال النووى لم تنف عائشة الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها حديث فيه لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط من ظاهر الآية ، وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا ، وقد خالف عائشة ابن عباس فأخرج الترمذى من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول لاتدركه الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى ربه مرتين . وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن أنس قال رأى محمد ربه ، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس وكعب الاحبار والزهرى وصاحبه معمر وآخرون . وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمداً رأى ربه ، وأخرج ابن خزيمة عن عروة ابن الزبير اثباتها وكان يشتد اذا ذكر له انكار عائشة رضى الله عنها وهو قول الاشعري وغالب اتباعه واستدلت عائشة أيضا بالآية الثانية . ووجه الاستدلال بها ان الله تعالى حصر تكليمه لغيره في ثلاثة أوجه وهي الوحى بأن يلقى في روعه مايشاء ، أو يكلمه بغير واسطة من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيبلغه عنه . فيستلزم ذلك انتفاء الرؤية عند حالة التكلم . وأجابوا عنه بأن ذلك لا يستلزم نفى الرؤية مطلقا وغاية مايقتضى نفى تكليم الله على غير هذه الاحوال الثلاثة فيجوز ان التكلم لم يقع حالة الرؤية .
وأقول قول النووى ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها فيه حديث مرفوع لذكرته غريب منه وهو محيي السنة فان عائشة تقول فيما رواه مسلم عن مسروق عنها قالت أنا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال لا انما هو جبريل لم أره على صورته الى آخر ماقدمناه ، وهكذا قالت أيضا فيما رواه ابن مردويه عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عنها كما

سبق . وقد وفق بعضهم بأن عائشة رضى الله عنها لاتنفى الرؤية مطلقا كما شاع عنها ولـكنها انما تنفى رؤية تدل عليها آية النجم التى نحن بصددها واحتج بهـا مسروق فحاصل ماروى عنها نفى صحة الاحتجاج بالآية المذكورة على رؤيته ﷺ ربه سبحانه ببيان أن مرجع الضمير فيها انما هو جبريل عليه السلام على مايدل عليه جواب رسول الله ﷺ اياها وحمل قوله عليه الصلاة والسلام في جوابها لاعلى انه نفى للرؤية المخصوصة وهى التى يظن دلالة الآية عليها ويرجع الى نفي الدلالة. ولا يلزم من انتفاء الخاص انتفاء المطلق ولـكن هـذا التوفيق لايلائم استدلال عائشة بالآيتين السابقتين،فالانصاف ان الاحاديث التى رويت عن عائشة ظاهرة جدا في انها تنفي الرؤية مطلقا وتستدل بالآيتين السابقتين وقد علمت الجواب عن استدلالها بهما، والظاهر ان ابن عباس لم يقل بالرؤية الا عن سماع.وقد أخرج عنه احمد انه قال:قال رسول الله ﷺ رأيت ربى،ذكره الشيخ محمد الصالحى الشامي تلميذ الحافظ السيوطى في الآيات البينات وصححه . وجمع بعضهم بين قولى ابن عباس وعائشة بأن قول عائشة محمول على نفى رؤيته تعالى في نوره الذي هو نوره المنعوت بأنه لايقوم له بصر ، وقول ابن عبـاس محمول على ثبوت رؤيته تعالى في نوره الذي لايذهب بالابصار بقرينة قوله في جواب عكرمة عن قوله تعالى لاتدركه الابصار ويحـك ذاك اذا تجلى بنوره الذى هو نوره وبه يظهر الجمع بين حديثي أبى ذر:أخرج مسلم من طريق يزيد بن ابراهيم عن قتادة عن عبـد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال نور أنى أراه،ومن طريق هشام وهمام كلاهما عن قتـادة عن عبد الله قال قلت لابى ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته فقال عن أي شيء كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأيت ربك فقال أبو ذر قد سألته فقال رأيت نوراً فيحمل النور في الحـديث الاول على النور القاهر للابصار بجعل التنوين

للنوعية أو التعظيم ، والنور في الثاني على مايقوم به البصر والتنوين للنوعية وان صحت رواية الاول كما حكاه أبو عبد الله المازرى بلفظ نوراني بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء لم يكن اختلاف بين الحديثين ويكون نوراني بمعنى المنسوب الى النور على خلاف القياس ويكون المنسوب اليه هو نوره الذي هو نوره والمنسوب هو النور المحمول على الحجاب حمل مواطأة في حديث السبحات في قوله عليه الصلاة والسلام حجابه النور وهو النور المانع من الاحراق الذي يقوم له البصر . ثم ان القائلين بالرؤية اختلفوا فمنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام رأى ربه سبحانه بعينه وروى ذلك ابن مردويه عن ابن عباس وهو مروى أيضا عن ابن مسعود وأبي هريرة واحمد بن حنبل . ومنهم من قال رآه عز وجل بقلبه وروى ذلك عن أبي ذر . أخرج النسائي عنه انه قال رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره . وكذا روى عن محمد بن كعب القرظى ، بل أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه انه قال قالوا يارسول الله رأيت ربك قال رأيته بفؤادي مرتين ولم اره بعيني ثم قرأ «ماكذب الفؤاد مارأى » وفي حديث عن ابن عباس يرفعه فجعل نور بصرى في فؤادى فنظرت اليه بفؤادي وكان التقدير في الآية على هذا ماكذب الفؤاد فيما رأى ومنهم من ذهب الى أن احدى الرؤيتين كانت بالعين والأخرى بالفؤاد وهي رواية عن ابن عباس أخرج الطبراني وابن مردويه عنه انه قال ان محمدا ﷺ رأى ربه عز وجل مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده . ونقل القاضي عياض عن بعض مشايخه انه توقف أي في الرؤية بالعين وقال انه ليس عليه دليل واضح قال في الكشف لان الروايات مصرحة بالرؤية أما انها بالعين فلا . وعن الامام أحمد انه كان يقول اذا سئل عن الرؤية رآه رآه حتى ينقطع نفسه ولا يزيد على ذلك وكأنه لم يثبت عنده ما ذكرناه ، واختلف فيما يقتضيه ظاهر النظم الجليل

فجزم صاحب الكشف بأنه ما عليه الأكثرون من أن الدنو والتدلي مقسم ما بين النبي وجبريل صلاة الله وسلامه عليهما ، أي وان المرئي هو جبريل واذا صح خبر جوابه عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها لم يكن لاحد محيص عن القول به وكيف لا يصح وقد رواه الشيخان وعلى ذلك يحمل ما قالته عائشة على نفي الرؤية العينية ولذلك لما نفت رضي الله عنها رؤية رسول الله ﷺ ربه بعينه في سؤال مسروق منها عن ذلك استدركت بقولها لكن رأى جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته مرتين وأشارت بذلك الى قوله تعالى « ولقد رآه نزلة أخرى » قال الثعلبي : اي مرة اخرى وسماها نزلة على الاستعارة وذلك ان النبي ﷺ رأى جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التي خلق عليها مرتين مرة بالارض في الافق الاعلى ومرة في السماء عند سدرة المنتهى . وهذا قول عائشة وأكثر العلماء وهو الاختيار لانه قرن الرؤية بالمكان فقال عند سدرة المنتهى ولانه قال نزلة أخرى، ووصف الله تعالى بالمكان والنزول الذي هو الانتقال محال . فان قلت كيف التوفيق بين نفي عائشة الرؤية واثبات ابن عباس إياها قلت يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب والدليل على هذا ما رواه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى . قال رأى ربه بفؤاده مرتين وله من طريق عطاء أيضا عن ابن عباس قال : لم يره رسول الله ﷺ بعينه انما رآه بقلبه وقد رجح القرطبي قول الوقف في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل .قال وليست المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها الا بالدليل القطعي .اه وأنت تعلم أن الرؤية البصرية لها لوازم ضرورية لا يمكن أن تقع بدونها لاستحالتها في حقه تعالى فان من لوازمها محاذاة الرائي للمرئي وعدم الحجاب الكثيف وعدم القرب جداً وعدم

البعد جداً وغير ذلك، وكل هذه محالة في حقه تعالى فلو فرض صحة روايات أن الرؤية كانت بالعين فلا بد من تأويلها بما يوافق الدليل العقلي ، على أن هناك دليلا صريحاً على عدم وقوع رؤية الله تعالى بالابصار في الدنيا وذلك ما رواه مسلم من حديث أبي أمامة قال قال عليه الصلاة والسلام : واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا .وأما رؤية النبي ﷺ ربه عز وجل ليلة المعراج فلم تكن في الدنيا بل كانت في الملكوت الأعلى والدنيا لا تطلق عليه كما نقله العيني في عمدة القاري عن بعض المحققين ، فتكون هـذه الرؤية ملكوتية خالية من تلك اللوازم فتتحد قطعاً مع رؤية البصيرة والقلب وعلى هذا يجب حمل كل الروايات التي جاءت فيها أن الرؤية كانت بصرية ويكون الخلاف لفظياً كما هو لفظي بين من قال برؤيته تعالى بالأبصار الخ وبين من نفاها فان من نفاها فانما نفى الرؤية التي من لوازمها ما قدمناه من المحالات ولا يستطيع أن يخالفه في ذلك أحد ، ومن أثبتها فانـما أثبت رؤية خالية من تلك اللوازم وهذه بالضرورة حقيقة أخرى غير حقيقة الرؤية ذات تلك اللوازم . فخذ هذا التحقيق

(وأما ما جاء في المعراج من السنة) فقد روى البخاري بسنده عن أنس ابن مالك عن مالك بن صعصعة قال قال النبي ﷺ « بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ـ وذكر بين رجلين ـ فأتيت بطست من ذهب مُلىء حكمة وايماناً فَشُقَّ من النحر الى مراقّ البطن ثم غُسِلَ البطن بماء زمزم ثم مُلىء حكمة وايمانا وأُتيت بدابة أبيضَ دون البغل وفوق الحمار ـ البراقُ ـ فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء . فأتيت على آدم فسلمت عليه . فقال : مرحباً بك من ابن ونبيّ . فأتينا السماء الثانية . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد

أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء . فأتيت على عيسى ويحيى فقالا : مرحبا بك من أخ ونبيّ . فأتينا السماء الثالثة . قيل : من هـذا ؟ قيل : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء ، فأتيت يوسف فسلمت عليه . فقال : مرحباً بك من أخ ونبيّ . فأتينا السماء الرابعة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك . قيل : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قيل : نعم . قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء . فأتيت على إدريس فسلمت عليه . فقال : مرحبا بك من أخ ونبي فأتينا السماء الخامسه . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيـل : مرحباً به ولنعم المجيء جاء فأتينا على هارون فسلمت عليه . فقال : مرحباً بك من أخ ونبيّ فأتينا (على) السماء السادسة . قيل . من هـذا ؟ قيل : جبريل . قيل من معك . قيل محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ (قال : نعم . قيل مرحباً به) ، ولنعم المجيء جاء . فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال : مرحباً بك من أخ ونبيّ . فلما جاوزت بكى فقيل ما أبكاك قال : يارب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي . فأتينا السماء السابعة . قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل قيل : من معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ولنعم المجيء . جاء . فأتيت على ابراهيم فسلمت عليه . فقال : مرحباً بك من ابن ونبي . فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا لم يعودوا اليه آخِرَ ما عليهم و رُفِعَتْ لي سدرة المنتهى فاذا نبقها كانه قلال هجر وورقها كانه آذان الفيول في أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران . فسألت جبريل فقال : أما الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران النيل والفرات . ثم فرضت عليَّ خمسون

صلاة فأقبلت حتى جئت موسى فقال : ما صنعت ؟ قلت : فرضتْ عليَّ خمسون صلاة قال : أنا أعلم بالناس منك عالجت بني اسرائيل أشد المعالجة وان امتك لا تطيق فارجع الى ربك فسله فرجعت فسألته فجعلها أربعين ثم مِثْلهُ ثم ثلاثين ثم مثله فجعل عشرين ثم مثله فجعل عشراً فأتيت موسى فقال مثله فجعلها خمسا فأتيت موسى فقال : ما صنعتَ ؟ قلت جعلها خمساً فقال مثله قلت : سلّمت بخير فنودي اني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي واجزِي الحسنةَ عشرا اه . وهذا الحديث أخرجه البخاري في الحج مختصرا وفي كتاب الصلاة بسنده عن أبي ذر وفي بدء الخلق بسنده عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة، وفي الانبياء بسنده عن أبي ذر أيضاً ، وفي آخر كتابه بسند فيه شريك بن عبد الله عن أنس بن مالك وجاء فيما أخرجه في كتاب الصلاة قال أنس فذكر انه وجد في السمٰوات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم عليهم الصلاة والسلام ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة وهذا مخالف لما في هذا الحديث . وقد قيل في التوفيق بينهما بأنه وجده في السادسة ثم ارتقى هو أيضاً الى السابعة ، وكذا اختلف في موسى هل هو في السادسة أو السابعة والتوفيق فيه بمثل ماذكر . ومراده بقوله « ولم يثبت » أنه لم يثبت فيما كان يحدث به أبو ذر فلا ينافي ثبوته في هذا الحديث .وقد أخرجه مسلم أيضاً في الايمان بسنده عن معاذ بن هشام . وأخرجه الترمذي في التفسير عن محمد بن بشار عن غندر وأخرجه النسائي في الصلاةعن يعقوب عن ابراهيم الدورقي . وقد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة لكن طرقه في الصحيحين مقتصرة على أنس مع اختلاف أصحابه عنه ، فرواه الزهري عن أبي ذر كما في هذا الباب . ورواه قتادة عن مالك بن صعصعة ورواه شريك بن أبي نمر وثابت البناني عنه عن النبي ﷺ بلا واسطة وفي سياق كل واحد منهم

ما ليس عند الآخر . وأخرجه النسائي أيضاً من طرق كثيرة عن أنس وأصح الروايات في ذلك ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة وهو ما قدمناه ومع ذلك فيمكن التوفيق . ومعنى رفع لى البيت المعمور ، أي كشف لي وقرب منى والرفع التقريب والعرض وكأنه أراد أن البيت المعمور ظهر له كل الظهور ، وكذلك سدرة المنتهى استُبِينَتْ له كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشيء المقرب اليه . وفي معناه رفع لي بيت المقدس . والبيت المعمور بيت في السماء حيال الكعبة اسمه الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء وبالحاء المهملة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة . وقوله نهران باطنان . قال مقاتل : هما السلسبيل والكوثر ، ونهران ظاهران وجد بيانهما في الحديث بقوله : النيل والفرات ، قيل يخرجان من أصلها ثم يسيران حيث أراد الله تعالى ثم يخرجان من الأرض ويجريان فيها وعن ابن عباس ان جميع المياه من تحت صخرة بيت المقدس ومن هنا يتفرق في الدنيا وقد علمت أن الألوسي قال فى هذا الله أعلم بصحته فتذكر . قال البدر العينى فى عمدة القاري. أما النيل فبدؤه من جبل القمر بضم القاف وسكون الميم وقيل بفتح الميم تشبيها بالقمر فى بياضه ، وقيل ينبع من اثنى عشر عينا هناك ويجري ثلاثة أشهر فى القفار وثلاثة أشهر فى العمران ، الى أن يجيء الى مصر فيفترق فرقتين عند قرية يقال لها شطنوف فيمر الغربي منه على رشيد وينصب فى البحر الملح . وأما الشرقي فيفترق أيضا فرقتين عند جَوْجَر فتمر الغربية منهما على دمياط من غربها وينصب فى البحر الملح والشرقية منهما تمر على أشمون طناح فينصب هناك فى بحيرة شرقى دمياط يقال لها بحيرة تنيس وبحيرة دمياط . وأما الفرات فأصله من اطراف أرمينية قريب من قاليقلا ثم يمر على بلاد الروم ثم يمر بأرض ملطية ثم على سُمَيْسَاط وقلعة الروم والبيرة وجسر منبج وبالس وجعبر والرقة والرحبة

وقرقيسيا وعانة والحديثة وهيت والانبار ثم يمر بالطفوف ثم بالحلة ثم بالكوفة وينتهي الى البطائح وينصب في البحر الشرقي ، قالوا ومقدار جريانها على وجه الارض اربعمائة فرسخ اه . هذا كله بحسب ما وقفوا عليه في زمانهم . وأما زماننا فقد اكتشفوا منابع النيل وسائر الانهر وضبطوها ضبطا دقيقا فمن أراد أن يقف عليه فليطالبه في محله وعلى كل حال فالذي راه ﷺ عند سدرة المنتهى انما هو مثالها كما مثلت له النار والجنة وسائر الانبياء وغير ذلك. قوله في الحديث أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران النيل والفرات . ولم يقل انهما في الجنة أو من الجنة كما قال في الباطنين ، والاحاديث لاتجيء على خلاف المشاهدات الثابتة بالحس الصادق قطعا فلا تغتر بما يقوله المتشدقون المتعولمون المتصولحون الذين يريدون أن يكذب الله ورسوله

هذا ، وقد قدمنا انه تعالى قال في سورة الاسراء (لنريه من آياتنا) وفي سورة النجم (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فنذكر لك طرفا مما رآه من الآيات . فقد رأى بينما هو يسير على البراق من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى عفريتا من الجنّ أي جنيا متمرداً يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل الا أعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه أي وقع على وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : بلى ، أي علمني ، فقال جبريل « قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر مايخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يارحمن » فانكب على فيه وطفئت شعلته ، والحكمة في ذلك أن تعلم أمته هذه الكلمات فتقولها عند وجود ما يخيفها . ثم سار حتى أتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال : ياجبريل ما هذا ؟ فقال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف

وما انفقوا من شيء فهو يخلفه . وقال تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) والحكمة في هذا أن يشخص الله له المجاهدين من أمته الذين يقاتلون لاعلاء كلمته تعالى وما لهم من الأجر على ذلك وانه أجر مضاعف غير ممنون ترغيباً لأمته في الجهاد وحضا لما عليه . ووجد في طريقه أيضاً ريحا طيبة فقال ياجبريل ما هذه الرائحة ؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها بينما هي تمشط بنت فرعون اذ سقط المشط ، فقالت : بسم الله تعس فرعون ، فقالت بنت فرعون : أولك رب غير أبي ، لأن فرعون كان يقول لقومه كما قصه القرآن عليه (ما لكم من إله غيري) فقالت نعم ، فقالت : أفأخبر أبي بذلك ، قالت نعم فأخبرته ، فدعاها فقال : أو لك رب غيري ؟ قالت : نعم ربي وربك الله وكان للمرأة ابنان وزوج فأرسل اليهم فراود المرأة وزوجها ان يرجعا عن دينهما فأبيا فقال : اني قاتلكما ، قالت احسانا منك ان قتلتنا أن تجعلنا في بيت واحد فتدفننا فيه جميعا قال ذاك لك بمالك علينا من الحق فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها وبأولادها ليلقوا فيها فألقوا واحداً بعد واحد وأخروا المرأة لتتعذب بالتحسر على زوجها وأولادها حتى اذا بلغوا الى صغير رضيع فيهم ، فقال لامه : يا أمه قعي ولا تتقاعسي فانك على الحق ، فألقيت هي وزوجها وأولادها . وقد مثل الله بهذا التشخيص لنبيه ﷺ صورة من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان ، فان الرخصة انه يجوز له أن يجري كلمة الكفر على لسانه وقلبه مطمئن بالايمان وان العزيمة ان يصبر حتى اذا قتل كان شهيداً وكان له لسان صدق في الآخرين ويحيا حياة الشهداء عند رب العالمين . وهكذا كل من صبر على الامر بالمعروف الذي هو كالايمان ونحوه والنهى عن المنكر الذي هو كالكفر ونحوه . وقد ورد عنه ﷺ تكلم أربعة في المهد وهم صغار : ابن ماشطة بنت فرعون ،

وشاهد يوسف عليه السلام ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم ، وتعقب ذلك الطيبي بقوله :يرد دلالة الحصر في حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم ، وصاحب جريج ، وصبي كان يرضع فمر راكب حسن الهيئة ، فقالت أمه : اللهم اجعل ابنى مثل هذا ، فترك الصبي الثدي ، وقال : اللهم لاتجعلني مثله اه . ورده الجلال السيوطي فقال : هذا منه على جاري عادته من عدم الاطلاع على طرق الاحاديث والحديث المتقدم صحيح . أخرجه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وصححه من حديث ابن عباس ورواه الحاكم أيضا من حديث أبي هريرة وقال على شرط الشيخين ، وفي حديث الصحيحين المشار اليه آنفا زيادة على الأربعة الصبي الذي كان يرضع من أمه فمر راكب الخ فصاروا خمسة وهم أكثر من ذلك ففى صحيح مسلم تكلم الطفل في قصة أصحاب الأخدود . وقد جمعت من تكلم في المهد فبلغوا أحد عشر ونظمتها فقلت :

تكلم في المهد النبي محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف وطفل لذى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها وفي زمن الهادى المبارك يختم

ولكن الطيبي لم يقصد رد الحديث الذي جاء فيه الاربعة ولكنه أراد أن يبين حديث الصحيحين الدال على الحصر في الثلاثة وبين غيره مما دل على الزيادة تعارضا يحتاج الى التوفيق .وفي الكشف بعد ذكر حديث الاربعة وما تعقب به عن الطيبي نقل الزمخشري في سورة البروج خامسا فان ثبتت هذه أيضا فالوجه أن يجعل في المهد قيدا وتأكيداً لكونه في مبادىء الصبا وفي هذه الرواية يحمل على الاطلاق أي سواء كان في المبادىء أو بعيدها بحيث يكون تكلمه من

الخوارق ولا يخفى أنه توفيق بعيد كذا قيل . ولكن لايضره ارتكابه لضرورة التوفيق لانه أولى من رد أحد الحديثين مع صحة كل منهما وكون كل منهما خبرا لايحتمل النسخ ولابد من التوفيق لدفع التناقض المحال في كلام الشارع من احتمال مثل هـذا

ثم اتي على قوم ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء أي لاينقطع عنهم من ذلك شيء فقال ياجبريل ماهـذا ؟ فقال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة أي يتركونها كسلا أويؤخرنها عن وقتها . وهـذا أيضا تشخيص وتمثيل لما سيكون من أمته ﷺ من ترك الصلاة كسلا أو تأخيرها عن أوقاتها وبيان مايترتب على ذلك من العذاب الشديد المستمر الى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا

ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها أي ان عوراتهم مكشوفة فلا يسترون الا المغلظة منها القبل والدبر والضريع شجر شائك لاتطيق الدواب أكله لخبثه وقيل هو الشوك اليابس والزقوم نبت شديد المرارة يوجد بتهامة قال القليوبي : ورضف جهنم بفتح الراء وسكون المعجمة جمرها وهي حجارتها المحماة . فقوله وحجارتها عطف تفسير لان جهنم وقودها الناس والحجارة . فقال ياجبريل من هؤلاء ؟ فقال هؤلاء الذين لايؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئا . والغرض من هذا أيضا تشخيص مانعي الزكاة من أمته ﷺ وتمثيلهم له عليه الصلاة والسلام بحالتهم التي يكونون عليها يوم القيامة وانهم وان تمتعوا في الدنيا بالملابس الفخمة الناضرة والاطعمة اللذيذة لكن يكون حالهم في الآخرة على ماوصفه الله في هذا التمثيل

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدورهم ولحم آخر نيء خبيث فجعلوا

يأكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب . فقال ماهذا ياجبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح . فهذا تشخيص آخر مثل فيه ترك الرجل امرأته الحلال واتيان امرأة حرام ، وترك المرأة زوجها الحلال واتيان الرجل الحرام ، باللحم النضيج الطيب وتركه واللحم النيء الخبيث وأكله مع وضوح حصول الفائدة دنيا وأخرى فيما ترك ووضوح حصول الضرر دنيا وأخرى فيما أكل . فمثل الزنا بأكل اللحم النيء والخبيث للاشارة الى أن ذوي الطباع السليمة والنفوس المستقيمة ينفرون من هذا ويستقبحونه لما فيه من الضرر والخبث

ثم أتى على خشبة على الطريق لايمر بها ثوب ولا شيء الا خرقته فقال ماهذا ياجبريل؟ قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه . وتلا استدلالا على ذلك قوله تعالى (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به) أي لاتقعدوا بكل طريق كان حسيا أو معنويا تخوفون الناس بتوعدهم بايقاع الضرر بهم وتصرفون عن اتباع طريقه وشرعه ودينه من آمن به فيشمل قطع الطريق الحسي باخافة الناس وأخذ أموالهم وقتلهم وقطع الطريق المعنوي بأنه يثبط هم الناس الذين يريدون الايمان بالله ورسوله ويضلهم بطرق الالحاد والقاء الشبه عليهم وايقاع الشكوك في قلوبهم . فمثل قطاع الطريق هؤلاء بالخشبة المعترضة في الطريق للاشارة الى أن الانسان لايصل الى ذلك الامن بعد أن يخرج بطغيانه وضلاله عن الحيوانية فضلا عن الانسانية ويصير كالجماد الموضوع في الطريق لايذاء الناس فصار عقله تابعا لنفسه الامارة بالسوء كانه لا اختيار له فيما يصنعه من الشر كالخشبة المعترضة في الطريق التي يضعها لايذاء الناس

ورأى رجلا يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال ماهذا ياجبريل قال هذا مثل آكل الربا فشبه أخذ أموال الناس بطريق الربا بالسباحة التي هي السير مع الانبساط وعدم وجود عائق كالسباحة في النهر فهو بظاهره سهل لكن النهر من دم فهو نجس ملوث للجسم ويلقم الحجارة التي لاتنهضم ولا تصلح للغذاء للاشارة الى ان أخذ الربا وان كان فيه ربح ومنفعة في الظاهر لكن ذلك شبيه بالسباحة في نهر من دم مع انه يلقم الحجارة فهو ضرر وخسارة في الباطن قال تعالى (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وقال عز من قائل (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله)

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب لايستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ماهذا ياجبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لايقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها . فمثل في هذا التشخيص الرجل الذي يكون عنده حقوق الناس من ديون وودائع وغير ذلك ويكون عاجزا عن ادائها فيسوقه الطمع في أموال الناس الى أن يأخذ غيرها أيضاً لا يقصد بذلك الا أكل أموال الناس بالباطل فهو يحمل أوزار الناس على ظهره مع أوزاره فيأتي يوم القيامة وقد أفلس من حسناته كما أفلس في الدنيا من أمواله

وأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم . فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة ، خطباء أمتك يقولون ما لا يفعلون . مثل في هذا التشخيص خطباء الفتنة الذين يخطبون على الناس ولأجل أن يقضوا لباناتهم ويصلوا الى أغراضهم يقولون مثلا للناس اذا أعتمونا على كذا صنعنا معكم من الخير والمنافع ما هو كذا وكذا ودفعنا عنكم من المضار ما هو كذا وكذا ويغررون بالناس فيظهرون أنهم يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر وهم لا يريدون الا الظهور لهم بمظهر

الصلاح والتقوي ليقضوا لباناتهم الدنيوية الدنية ويصلوا الى ملء جيوبهم من الذهب والفضة.وهم في زماننا هذا كثيرون والجميع يقولون ما لا يفعلون قاتلهم الله أنى يؤفكون خصوصاً الذين يغررون بالناس ليصلوا الى المناصب العالية ومتى وصلوا اليها سعوا في الأرض بالفساد وأهلكوا الحرث والنسل وأوقعوا الضرر بالبلاد والعباد فمأواهم جهنم وبئس المهاد

ومر بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم . فمثل بهذا التشخيص الذين يغتابون الناس ويخوضون في أعراضهم فيذكرونهم بما يكرهونه ولو كانوا صادقين فيما ذكروا ان لم يكونوا متجاهرين بما يصنعون بقوم لهم أظفار من نحاس الخ للاشارة الى أن ضرر الغيبة انما هو عائد على هؤلاء الذين يغتابون الناس فانه يؤخذ من حسنات هؤلاء ان كان لهم حسنات فتعطى لمن اغتابوهم فان لم يكن لهم حسنات أخذ من سيئات هؤلاء فوضع على هؤلاء الذين اغتابوهم قال تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) والغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره ولو كنت صادقا فتذكره بما فيه وهو يكره وأما اذا كان متجاهراً بما هو فيه جاز ذكره بذلك والتشنيع عليه ليرتدع أما اذا ذكرته بما ليس فيه فذلك بهت من القول قبيح مذموم . قال تعالى (ومن يعمل خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً واثماً مبينا)

ومر على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال : ما هـذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من امتك يتكلم بالـكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها . فهذا مثل وتشخيص للشخص الذى يتكلم بالكلمة العظيمة الأثر في الدين بأن يقول كلمة كفر أو فسق ، او في الدنيا بأن يقول كلمة سب او عيب لشخص آخر ، فيريد ان

يتدارك الكلمة فلا يمكن . وقد جاء في الحديث ما معناه : إن الرجل ليتكلم الكلمة لا يلقي لها بالا فيهوى في النار سبعين خريفاً . وقد جاء في شعر الحكيم :

فما جرح السهام له التئام ولا يلتئام ما جرح اللسان

وقال الشاعر الحكيم ايضاً :

يموت الفتى من عثرة في لسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول توجب قتله وعثرته بالرجل تبرا على مهل

فالواجب على العاقل أن لا يتكلم الا بميزان وبعد ان يعلم عواقب ما يقول فاذا تكلم تكلم بالحكمة والا سكت

وبينما هو يسير اذ هو بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى . فقالت يامحمد انظرني أسألك فلم يلتفت اليها . فقال : من هذه ياجبريل قال : تلك الدنيا ، اما انك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة . ففي هذا التشخيص مثل الدنيا بأنها تظهر للناس بمظهر التغرير ، فمن أخذها بحقها وأنفقها بحقها كانت مطيته الى النعيم المقيم ، ومن أخذها بغير حقها أو استعملها في غير حقها كانت مطيته الى العذاب الاليم . والنبي ﷺ لم يلتفت اليها لا برأسه ولا بعينه ولا بقلبه ولو التفت اليها لاختار كل أمته الدنيا على الآخرة ولكن لما لم يلتفت لم يختر جميع أمته ذلك بل منهم من غرته الحياة الدنيا فاغتر بها واختارها فملكته وسكنت قلبه فغلبته . ومنهم من لم يغتر بها فلم يملكها ولم تملكه أو ملكها ولم تملكه والويل كل الويل لمن ملكته ملكها أو لم يملكها . الى غير ذلك من الآيات التي رآها في طريقه الى المسجد الأقصى مما هو مذكور في المطولات

ومن الآيات التي رآها في عروجه على بعض الروايات كما ذكره العلائي في تفسيره أنه كان للنبي ﷺ ليلة الاسراء خمسة مراكب : الأول البراق الى بيت المقدس . الثاني المعراج منه الى السماء الدنيا . الثالث أجنحة الملائكة منها

الى السماء السابعة . الرابع جناح جبريل عليه السلام منها الى سدرة المنتهى . الخامس الرفرف منها الى قاب قوسين . وعلى رواية أنه لم يكن الا البراق من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم المعراج الى ما شاء الله تعالى . ومنها أن المعراج كان له عشر مراق : سبعة الى السماوات ، والثامن الى السدرة ، والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام ، والعاشر الى العرش . والبراق كما ذكره ابن أبي حامد في كتابه الامثال في أسماء الخيل وصفاتها انه ليس بذكر ولا أنثى ووجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال . وقال ابن اسحاق انه أبيض وفي فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره عند منتهى بصره . وقال الزبيدي وصاحب التحرير هي دابة كان يركبها الانبياء . وعلى كل حال فهو من عالم الملكوت لا من دواب الدنيا

ومما رآه أيضاً منها أنه اجتمع في كل سماء مع نبي من الانبياء عليهم السلام كما سبق واطلع عليه الصلاة والسلام على احوال الجنة والنار ورأى من الملائكة ما لا يعلم عدتهم الا الله تعالى . ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام رأى ليلة المعراج في مملكة الله تعالى خلقاً كهيئة الرجال على خيل بلق شاكين السلاح طول الواحد منهم ألف عام والفرس كذلك يتبع بعضهم بعضاً لا يرى أولهم ولا آخرهم . فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ فقال : ألم تسمع قوله تعالى « وما يعلم جنود ربك الا هو » فأنا اهبط وأصعد أراهم هكذا يمرون لا أدري من أين يجيئون ولا الى أين يذهبون

ومنها أيضاً أنه ﷺ قد صلى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في بيت المقدس . قال في الحقائق وكانت صلاته عليه الصلاة والسلام بهم ركعتين قرأ في الاولى قل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية بالاخلاص . وقال بعضهم كانت دعاء وذكر أن الأنبياء كانوا سبعة صفوف : ثلاثة منهم مرسلون ، وأن الملائكة

صلت معهم وهذا من خصائصه ﷺ كما قاله القاضي زكريا في شرح الروض . والحكمة في ذلك أن يظهر أنه امام الكل ﷺ . وهل صلى بأرواحهم خاصة أو بهامع الاجساد خلاف . والذي يظهر هو الأول لان اعادة الأرواح للاجساد وحياة الاجساد بها انما هي لميقات يوم معلوم . وكذلك اختلف في أن صلاته بهم كانت قبل العروج أو بعده فصحح الحافظ ابن كثير أنه بعده وصحح القاضي عياض وغير أنه قبله وهذا هو الذي يظهر من الآثار الواردة في ذلك وجاء في رواية أنه عليه الصلاة والسلام صلى في كل سماء ركعتين يؤم أملا كها

ومن الآيات أيضاً أن العروج كان في بعض ليلة واحدة وكان رجوعه ﷺ على ما كان ذهابه عليه ولم يعين مقدار ذلك البعض

وكيفما كان فوقوع ما وقع فيه من أعجب الآيات وأغرب الكائنات . وفي بعض الآثار أنه ﷺ لما رجع وجد فراشه لم يبرد من أثر النوم . وانما أسرى به ﷺ الى بيت المقدس وعرج به ثانياً منه ليكون وصوله الى الاماكن الشريفة على التدريج فان شرف بيت المقدس دون شرف الحضرة التي عرج اليها على ما قيل . وقيل توطيناً له عليه الصلاة والسلام لما في المعراج من الغرابة العظيمة التي ليست في الاسراء وان كان غريباً أيضاً وقيل لتتشرف به أرض المحشر ذهاباً وإياباً وفي النفس من هذا الاخير شيء (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات)

وليست آية الاسراء نصاً في المعراج بل هي نص في الاسراء دونه اذ يجوز حمل قوله تعالى (لنريه من آياتنا) على ما حصل له ﷺ ليلة الاسراء فقط بل قال بعضهم ليس في آيات القرآن مطلقاً ما هو نص في ذلك ، ومن هنا قالوا : الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قطعي ثبت بالكتاب فمن أنكره فهو كافر والعياذ بالله تعالى . والمعراج ليس كذلك فمن أنكره ليس بكافر بل

مبتدع وكان سبحانه انما لم يصرح به كما صرح بالاسراء رحمة بالقاصرين على ما قيل. والمراد بقولهم من أنكر الاسراء فهو كافر . ان من أنكر الاسراء بالكلية لا يقظة ولا مناماً ولا روحاً ولا جسداً كان كافراً لكون النص في مطلق الاسراء قطعياً ولم يخالف فيه أحد من المسلمين . أما من أنكر كونه يقظة بالجسم والروح فهو ليس بكافر لان العلماء قد اختلفوا فيه على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى أنه كان في المنام على اتفاقهم على أن رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحي وحق . وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واحتجوا لذلك بما روي عن عائشة رضي الله عنها ما فقد جسد رسول الله ﷺ . وبقوله في بعض روايات حديث القصة بينما أنا نائم وبقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة وقال في آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف الى أنه كان بجسده وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو مذهب ابن عباس فيما صححه الحاكم . وعد في الشفاء عشرين نفساً قالوا بذلك من الصحابة والتابعين واتباعهم وهو مذهب أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين . وذهبت طائفة الى أن الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح والصحيح أنه أسرى بالجسد والروح فى القصة كلها ويدل عليه قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده) كما قدمناه اذ لو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس فى الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة أصلا . وقال ابن عباس هي رؤيا عين رآها لا رؤيا منام . وأما قول عائشة ما فقد جسد رسول الله ﷺ فلم تحدث عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجته ولا فى سن من يضبط . فاذا كان كذلك فقد حدثت بذلك عن غيرها فلا يرجح خبرها على خبر غيرها . وقال الحافظ عبد الحق في الجمع بين الصحيحين وما روى شريك عن أنس انه كان نائماً فهو زيادة مجهولة

وقد روي الحفاظ المتقنون والائمة المشهورون كابن شهاب وثابت البناني وقتادة عن أنس ولم يأت أحد منهم بها وشريك ليس بالحافظ من أهل الحديث . وقد تقدم تحقيق هذا فتذكره . وعلى كل فالمسألة خلافية اجتهادية فلا يكفر من يقول بقول من هــذه الاقوال الثلاثة . وهذا لا ينافي أن الحق ما عليه أكثر السلف وأكثر الخلف عملا بظواهر النصوص

ولنذكر مايستنبط من حديث الاسراء من الاحكام والفوائد فنقول :

منها أن البخاري روى هــذا الحديث فى كتاب الصلاة وقال أولا كيف فرضت الصلاة ثم أورد الحديث وفيه فعرج بي الى السماء، وظاهر هذا أن الاسراء والمعراج واحد وظاهر ايراد البخارى لهذا الحديث فى أحاديث الانبياء وانه ترجم الاسراء بترجمته وأخرج فيـها حديثاً ثم ترجم المعراج بترجمة أخرى وأخرج فيها حديثا ثم ترجم المعراج بترجمة أخرى وأخرج فيها حديثا يقتضي أن الاسراء غير المعراج فيؤخذ من هذا أنهما باعتبار كونهما ليلا فى ليلة واحدة كانا شيئا واحداً وباعتبار أن الاسراء بصريح القرآن كان من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وان المعراج بمقتضى الاحاديث الصحيحة كان من بيت المقدس الى ما شاء الله أنهما متغايران فلا تناقض . ومنها أن قوله فنزل جبريل ، وقوله فعرج بي الى السماء يدلان على رسالة النبي ﷺ وعلى خصوصيته بامور لم يعطها غيره . ومنها أن جبريل عليه السلام هو الذي كان ينزل على النبي ﷺ من عند الله وبأمره تعالى . ومنها أن فيه دلالة على اثبات الاستئذان وبيان الادب فيما اذا استأذن أحد بدق الباب ونحوه وأنه اذا قيل له من أنت يجيب بالاسم الذي هو مشهور به ومعروف عند السائل ولا يقول أنا مثلا مما يكون فيه الابهام . ومنها أن اذن الرسول يقوم مقام اذن مرسله لان خازن كل سماء لم يتوقف فى الفتح له على الوحي اليه بذلك بل عمل بلازم الارسال اليه وأن الله الذي أرسل جبريل

اذن بذلك . ومنها أنه علم أن للسماء أبوابا حقيقة وحفظة موكلين بها . ومنها علم أن رسول الله ﷺ من نسل ابراهيم حيث قال له : والابن الصالح بخلاف غيره من الانبياء المذكورين فيه فانهم قالو له الاخ الصالح ما عدا آدم وابراهيم عليهما السلام . ومنها جواز مدح الانسان في وجهه اذا أمن عليه الاعجاب وغيره من أسباب الفتن . ومنها أن فيه شفقة الوالد على ولده وسروره بحسن حاله . ومنها ما قالت الشافعية ان فيه عدم وجوب صلاة الوتر حيث عين الخمس . قلنا نحن أيضاً نقول بذلك وان الوتر لم يجب ليلة الاسراء ، وانما كان وجوبه بعد ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله زادكم صلاة الحديث . فلذلك انحطت درجته عن الفرض اعتقاداً . وقال أبو حنيفة انه فرض عملا لان ثبوت الفرائض الخمس بدليل قطعي وهو بدليل ظني . ومنها أن في ظاهره أن أرواح بني آدم من أهل الجنة والنار في السماء ولكن في هـذا كلام طويل وخلاف عظيم يطلب من المطولات . والحق أن الارواح مثلت له كما مثل آدم . ومنها أنه أفاد أن الجنة والنار مخلوقتان . قال ابن بطال وفيه دليـل على أن الجنة في السماء . ومنها أنه استدل به بعضهم على جواز تحلية المصحف ونحوه بالذهب وهذا استدلال بعيد لان ذلك كان فعـل الملائكة واستعمالهم وليس بلازم أن يكون حكمهم كحكمنا ويحتاج أيضاً الى ثبوت كونهم مكلفين بما كلفنا به ومع هذا كان هذا على أصل الاباحة ، وتحريم استعمال الذهب والفضة كان بالمدينة . ومنها أن قوماً استدلوا بنقص الصلوات من خمسين الى خمس على جواز نسخ العبادة قبل العمل بها ، وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين :أحدهما البناء على أصله ومذهبه أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها لان ذلك عنده من البداء والبداء على الله تعالى محال . الثاني أن العبادة اذا جاز نسخها قبل العمل بها عند من يراه فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها الى الارض ووصولها الى المخاطبين. قال

وانما ادعى النسخ فيها القاشاني ليصحح بذلك مذهبه في أن البيان لا يتأخر . قال أبو جعفر : وهـذا انما هي شفاعة شفعها رسول الله ﷺ لامته ومراجعة راجعها ربه ليخفف عن أمته ولا يسمى نسخاً . وقال السهيلي قول أبي جعفر ذلك بداء ليس بصحيح لان حقيقة البداء أن يبدو للآمر رأي يتبين له الصواب فيه بعد ان لم يكن تبينه وهذا محال في حقه تعالى . والذي يظهر أنه نسخ ما وجب على النبي ﷺ من ادائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب ، وهذا نسخ على الحقيقة ونسخ عنه ما وجب عليه من التبليغ فقد كان في كل مرة عازماً على تبليغ ما أمر به ، ومراجعته وشفاعته لا تنفي النسخ ، فان النسخ قد يكون عن سبب معلوم فشفاعته ﷺ لأمته كانت سبباً للنسخ لا مبطلة لحقيقته ولكن المنسوخ ماذكرناه من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات في خاصته . وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم اذ لا يتصور نسخ الحكم قبل وصوله الى المأمور وتبليغه الخطاب وفهمه وهذا أحد وجهين في الحديث . والوجه الثاني أن يكون هذا خبراً لا تعبداً فاذا كان خبراً لا يدخله النسخ . ومعنى الخبر انه ﷺ أخبره ربه ان على أمتـه خمسين صلاة ومعناه أنها في اللوح المحفوظ خمسون ، فتأولها النبي ﷺ على انهـا خمسون بالفعل فبينها له ربه عند مراجعته انها في الثواب لا في العمل . ولا يخفى ما في هذا الوجه من مخالفته ظاهر الحديث ، فان مراجعته وتنزيلها خمساً خمساً على رواية أو عشراً عشراً ثم خمساً على رواية ينافي هذا . ومنها فرضية الصلوات الخمس ، قال ابن بطال : أجمعوا على أن فرضية الصلاة كانت ليـلة الاسراء . قال ابن اسحق : ثم ان جبريل عليه الصلاة والسلام أتى فهمز بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت عين ماء مزن فتوضأ جبريل عليـه السلام ومحمد عليـه السلام ينظر فرجع رسول الله ﷺ وأخذ بيد خديجة رضي الله عنها ثم أتى بها العين فتوضأ كما توضأ جبريل عليه السلام ، ثم صلى هو وخديجة ركعتين كما صلى جبريل

عليه السلام . وقال نافع بن جبير : أصبح النبي ﷺ ليلة الاسراء فنزل جبريل حين زالت الشمس فصلى به وقال جماعة لم تكن صلاة مفروضة قبلها الا ما كان أمر به من قيام الليل من غير تحديد ركعات وأوقات حضور وكان يقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ، وعلى هذا فما صلاه جبريل مع النبي ﷺ أولا وصلاه النبي ﷺ مع خديجة ثانياً كان حين زالت الشمس فلا خلاف بين ماقال ابن اسحق وبين ما قال نافع بن جبير سوى ان الاول فصل القصة دون الثاني ولا خلاف بينهما وبين ما قاله جماعة من انه لم تكن صلاة مفروضة قبلها . وهذا الحل متعين جمعا بين الروايات . ومنها ان أعمال بنى آدم الصالحة تسر آدم وأعمالهم السيئة تسوءه . ومنها انه يجب أن يرحب بكل أحد من الناس في حين لقائه بأكرام النازل وأن يلاقيه بأحسن صفاته وأعمها بجميل الثناء عليه . ومنها أن أرواح المؤمنين يصعد بها الى السماء . ومنها أن أوامر الله تكتب بأقلام شتى وان العلم ينبغى أن يكتب بأقلام كثيرة تلك سنة الله في سماواته فكيف في أرضه ؟ فرآها ﷺ في السماوات ليجعلها في الارض وقد فعل عليه الصلاة والسلام . ومنها أن ما قضاه الله وأحكمه من آثار معلومة وآجال محدودة وشبه ذلك مما لايبدل لديه سبحانه . وأما ما نسخه رفقاً بعباده فهو الذي قال فيه « يمحو الله ما يشاء ويثبت » والاول هو الذي قال فيه « وعنده أم الكتاب » وهي المحكمات التي لاتقبل النسخ بحال كما قال تعالى « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب » . وقد أورد هنا أسئلة وأجابوا عنها . فمنها ما قيل: ما وجه اعتناء موسى عليه السلام بهذه الأمة من بين سائر الانبياء عليهم السلام الذين رآهم النبي ﷺ ليلة الاسراء ؟ وأجيب عن ذلك بأنه قد ورد أن موسى عليه السلام قال : يارب اجعلنى من أمة محمد ، لما رأى من كرامتهم على ربهم فلذلك اعتنى بأمرهم وأشفق عليهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم . وقال

الداودي : انما كان ذلك من موسى لانه أول من سبق اليه حين فرضت الصلاة فجعل الله في قلب موسى عليه السلام ذلك ليتم ماسبق من علم الله تعالى . وهذا انما يصح اذا كانت مقابلة النبي ﷺ لموسى في السماء السابعة والا فأول من يستقبله ابراهيم اذا قلنا انه قابله في السابعة وقد قدمنا الخلاف في ذلك والتوفيق بين الروايتين فتذكره . ومنها ما قيل : مامعنى نقص الصلاة عشرا بعد عشر ؟ وأجيب بأنه ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها الى آخرها ، وقد جاء انه يكتب له ما حضر قلبه فيه منها وانه يصلي فيكتب له نصفها أو ربعها حتى تنتهي الى عشرها فهي خمس في حق من يكتب له عشرها وعشر في حق من يكتب له أكثر من ذلك وخمسون في حق من كملت صلاته بما يلزمه من تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها . ومنها ما قيل: لماذا جعلت خمسين في الأجر وخمساً في الفعل ولم تجعل ستين في الأجر مثلا وخمساً في الفعل . وأجيب عن ذلك بأن المواقف يوم القيامة خمسون موقفاً مدة كل موقف ألف سنة ، فمجموع مدة المواقف خمسون ألف سنة وهو المشار اليه بقوله تعالى « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » ولبيان مدة كل موقف جاءت الاشارة في الآية الأخرى التي ذكر فيها أن مقدار اليوم ألف سنة فجعلت الصلوات على خصوص ذلك العدد للاشارة الى أن الصلوات الخمس تساعده باذن الله تعالى اذا أقامها على وجه ما أمره الله تعالى في تلك المواقف ويسهل الله عليه أمره فيها بسبب الصلاة اذا حافظ عليها وعلى أدائها في أوقاتها على تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها . ومنها ما قيل : كيف رأى النبي ﷺ من رآه من الانبياء في السماء مع أن مقرهم في الأرض؟ والجواب : ان الله تعالى شكل أرواحهم على هيئة أجسامهم كما ذكره ابن عقيل . وكذا ذكره ابن التين وقال : وانما تعود الأرواح الى الأجساد يوم البعث كما قدمناه ، الا عيسى عليه الصلاة والسلام فانه حي لم يمت

وينزل الى الارض . وقال بعضهم : ان الأنبياء أحياء في قبورهم ، وقد رآهم النبي ﷺ حقيقة وقد مر على موسى عليه السلام وهو قائم يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة . ولا يخفى أن هذا لاينافي ما قاله ابن التين من أن الارواح انما تعود الى الاجساد يوم البعث ، لأن عود الارواح الى الاجساد يوم البعث هو الذي يقتضي أن تعود الاجساد الى الحياة المشاهدة التي يترتب عليها الحركات والسكنات وجميع الافعال الاختيارية بأقوى مما كانت عليه في الحياة الدنيا . وأما حياة الأنبياء في قبورهم فهي حياة ملكوتية بها يقدرون على حركات وسكنات وأفعال ملكوتية لا يشاهدها ولا يراها الا من يشاهد عالم الملكوت ، مثل نبينا ﷺ . فما ذكره ابن التين شيء وما قاله هذا البعض شيء آخر . وبالجملة فما قاله ذلك البعض حياة برزخية وهي للانبياء فوق حياة الشهداء ، وللشهداء فوق حياة الاولياء غير الشهداء ، وللاولياء غير الشهداء فوق حياة من عداهم من الناس أجمعين من أهل البرزخ . ومنها ما قيل: ما الحكمة في انه عليه الصلاة والسلام عين من الأنبياء آدم وإدريس وابراهيم وموسى وعيسى فيما رواه البخاري في كتاب الصلاة ، وذكر أيضاً يحيى ويوسف وهارون وهم ثمانية ؟ والجواب أن الحكمة في الاقتصار على المذكورين اشارة الى ما سيقع له ﷺ مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم . فأما آدم عليه السلام فانه خرج من الجنة بعداوة إبليس له وتحيله عليه ، فكذلك نبينا ﷺ خرج من مكة بأذى قومه له ولمن أسلم معه ، والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما أن يرجع الى وطنه الذي خرج منه فآدم رجع الى السماء بعد أن هبط منها والمصطفى رجع الى مكة لما فتحها وصارت في يده . وأما لقياه لعيسى ويحيى فللتنبيه على ما وقع له أول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغي عليه وارادتهم وصول السوء اليه فرأى

في الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود . أما عيسى فكذبته اليهود وآذوه وهموا بقتله فرفعه الله ، وأما يحيى فقتلوه . ورسول الله ﷺ بعد انتقاله الى المدينة صار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود وظاهروا عليه وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى . ثم سموه فى الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت أبهره . وأما لقاؤه ليوسف فى الثالثة فيؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف وذلك انه ظفر بأخوته بعد اخراجه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال : « لاتثريب عليكم » الآية وكذا نبينا ﷺ أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق ومنهم من فدى ، ثم ظهر عليهم عام الفتح ، فقال : أقول كما قال أخي يوسف « لاتثريب عليكم » ثم لقاؤه لادريس فى الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكاناً عليا ، وهو أول من خط بالقلم ، وكان ذلك مؤذناً بحالة رابعة وهو علو شأنه ﷺ حتى أخاف الملوك ، وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي ﷺ ورأى ما رأى من خوف هرقل : لقد أمر امر ابن أبي كبشه حتى أصبح يخافه ملك بنى الاصفر وكتب عنه بالقلم الى جميع ملوك الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ومنهم من هادنه وأهدى اليه واتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه فأظفر الله به ، كذا فى الروض للسهيلي . ولا تفهم من قوله بحالة رابعة ان كتابته ﷺ الى الملوك كانت فى السنة الرابعة كما ظن ذلك ابن المنير فانه سهو عجيب فان كتابته ﷺ الملوك كانت في أول السنة السابعة . ولقاؤه فى الخامسة لهرون المحبب فى قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه ، وقال ابن دحية : نال هرون من بنى اسرائيل من الاذى ثم الانتصار عليهم والايقاع بهم وقصر التوبة فيهم على القتل دون غيره من العقوبات المنحطة

عنه وذلك ان هارون عند ما تركه موسى فى بنى اسرائيل وذهب للمناجاة تفرقوا على هارون وتحزبوا عليه وداروا حول قتله ونقضوا العهد واخلفوا الموعد واستصغروا جانبه كما حكى الله تعالى ذلك عنهم وكانت الجناية العظمى الصادرة منهم عبادة العجل فلم يقبل الله منهم التوبة الا بالقتل فقتل فى ساعة واحدة سبعون ألفا كان نظير ذلك فى حقه ﷺ مالقيه فى خامسة الهجرة من يهود قريظة والنضير وقينقاع فانهم نقضوا العهد وحزبوا الاحزاب وحشدوا وحشروا وأظهروا عداوة النبي ﷺ وأرادوا قتله وذهب اليهم قبل الوقعة بزمن يسير يستعينهم فى دية قتيلين فأظهروا اكرامه وأجلسوه تحت جدار ثم تواعدوا أن يلقوا عليه رحي فنزل جبريل فأخبره بمكرهم الذي هموا به فمن حينئذ عزم على حربهم وقتلهم وفعل الله تعالى ذلك وقتل قريظة بتحكيمهم سعد بن معاذ فقتلوا شر قتلة وحاق المكر السيء بأهله ونظير استضعاف اليهود لهارون استضعافهم للمسلمين فى غزوة الخندق . ويؤذن لقاؤه لموسى فى السادسة بمعالجة قومه فان موسى ابتلى بمعالجة بني اسرائيل والصبر على أذاهم وما عالجه المصطفى فى السنة السادسة لم يعالج قبله ولا بعده مثله ففيها افتتح خيبر وفدك وجميع حصون اليهود وكتب الله عليهم الجلاء وضربهم بسوط البلاء وعالج ﷺ فى هذه السنة كما عالج موسى من قومه أراد أن يقيم الشريعة في الارض المقدسة وحمل قومه على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا «ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها» وفي الآخر جاهروا بالقنوط «وقالوا انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها» فغضب الله عليهم وحال بينهم وبينها وأوقعهم بالتيه وكذلك أراد ﷺ في السادسة أن يدخل بمن معه مكة يقيم بها شريعة الله وسنة ابراهيم فصدوه فلم يدخلها في هذا العام فكان لقاؤه لموسى تنبيها على التأسي به وجميل أثر السنة القابلة

ثم لقاؤه في السابعة لابراهيم انه ﷺ اعتمر عمرة القضاء في السنة السابعة

من الهجرة ودخل مكة هو وأصحابه ملبين معتمرين مُحيياً لسنة ابراهيم ومقيما لرسمه الذي كانت الجاهلية أماتت ذكره وبدلت أمره ورؤيته لابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور اشارة الى انه يطوف بالكعبة في السابعة وهي أول مرة دخل مكة بعد الهجرة والكعبة في الارض قبالة البيت المعمور وفي قوله فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الفا لا يرجعون اليه الى آخر الدهر أشارة الى انه اذا دخل البيت الحرام لايرجع اليه لانه لم يدخله بعدالهجرة الا عام الفتح ثم لم يدخله في حجة الوداع . كذا يؤخذ من المواهب اللدنية وشرحها

واعلم ان ماأبديناه من هذه المناسبات قد أشار اليه الحافظ ابن حجر وأصله للسهيلي في الروض وتلميذه ابن دحية وقال هي مناسبات لطيفة ، وقد اقتصرنا عليها وأعرضنا عن غيرها خوفا من التطويل وفيما أوردناه الكفاية

ومنها: ماهي الحكمة في انه رفع اليه ﷺ البيت المعمور وسدرة المنتهى قلنا انه منتهى الرفع كما تقدم انه كشف له البيت المعمور وظهر له كل الظهور وكذلك سدرة المنتهى التي رأى في أصلها أربعة انهار اثنان باطنان واثنان ظاهران والبيت المعمور في السماء حيال الكعبة في الارض وذلك يدل على انه ﷺ بعد فتح مكة تدين له جزيرة العرب ويدخل الناس في دين الله أفواجا وتنتشر شريعته المشتملة على الظاهر والباطن؟فليست ظاهرة فقط كشريعة موسى ولا باطنة فقط كشريعة عيسى بل هي شريعة علم وعمل تشتمل على سياسة الدين دنيا وآخرة ونظام الخلق في المعاش والمعاد وبذلك يتم الغرض المقصود

ومنها: ما الحكمة في أن التكاليف من أوامر ونواهي أنزلها الله تعالى بواسطة جبريل عليه السلام الى رسول الله ﷺ في الارض الا الصلاة المكتوبة فان الله عز شأنه فرضها على النبي وأمته فوق السموات وبدون واسطة جبريل ففي بعض روايات البخارى ثم علا به فوق ذلك بما لايعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى اليه فيما

أوحى خمسين صلاة (الحديث) والجواب بأن الصلاة لما كانت ركن الدين الاعظم وهى الركن الثاني من أركان الاسلام بعد الشهادتين وعمود الاسلام خصت بهذه المزية قال الامام احمد في كتاب الصلاة جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال (الصلاة عمود الاسلام) ألست تعلم ان الفسطاط اذا سقط عموده سقط الفسطاط لم ينتفع بالاطناب ولا بالاوتاد ، واذا قام عمود الفسطاط انتفعت بالاطناب والاوتاد فكذلك الصلاة من الاسلام الى أن قال رضى الله عنه واعلموا ان الله عز وجل قد عظم حظ الصلاة في القرآن وعظم أمرها وشرف أهلها وخصها بالذكر من بين الطاعات في مواضع من القرآن كثيرة ووصى بها خاصة اه. وقال ابن القيم في كتاب الصلاة وأحكامها مانصه: والصلاة ركن الدين الاعظم قال الامام احمد وقد جاء في الحديث لاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة وقد كان عمر بن الخطاب يكتب الى الآفاق ان من أهم أموركم عندى الصلاة فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع ولا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة . قال فكل مستخف بالصلاة مستهين بها فهو مستخف بالاسلام مستهين به وانما حظهم في الاسلام على قدر حظهم من الصلاة ورغبتهم في الاسلام على قدر رغبتهم في الصلاة فاعرف نفسك ياعبد الله واحذر أن تلقى الله ولا قدر للاسلام عندك فان قدر الاسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك. فقد جاء في الحديث ان أول مايسئل عنه العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان تقبلت منه صلاته تقبل منه سائر عمله وان ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله فصلاتنا آخر ديننا وهى أول مانسئل عنه غدا من أعمالنا يوم القيامة فليس بعد ذهاب الصلاة اسلام ولا دين اذا صارت الصلاة آخر مايذهب من الاسلام . هذا كله كلام الامام احمد انتهى.

ومنها : ماقيل ان قوله في الحديث الذي أخرجه البخارى في كتاب الصلاة

جاء فيه قوله لم يثبت كيف منازلهم وهذا يخالفه كلمة ثم التى للترتيب والجواب انه اما أن يقال ان أنسا لم يرو هذا عن أبي ذر، واما أن يقال لا يلزم منه تعيين منازلهم

ابقاء الابهام فيه لان بين آدم وابراهيم ستة من الانبياء وأربعة من السموات أو خمسة اذ جاء في بعض الروايات انه رأى ابراهيم في السماء السابعة وقد تقدم هذا الاعتراض والجواب عنه بان معنى قوله لم يثبت كيف منازلهم انه لم يثبت من طريق أبي ذر فلا ينافي انه ثبت من طريق آخر

ومنها ماقيل ان قوله تعالى (لايبدل القول لديّ) لم لايجوز أن يكون معناه لاينقص عن الخمس ولا يبدل الخمس الى أقل من ذلك والجواب ان معناه لاتبدل الاخبار مثل ان ثواب الخمس خمسون لا التكليفات أو لايبدل القضاء المبرم لا القضاء المعلق الذي يمحو الله مايشاء ويثبت ، أو معناه لايبدل القول بعد ذلك

ومنها: ماقيل ان الاسراء كان ليلا بالنص فما الحكمة في انه كان ليلا. والجواب من أوجه. الاول انه وقت الخلوة والاختصاص ومجالسة الملوك وهو أشرف من مجالستهم نهارا لانهم لايجالسهم ليلا الا الخواص وهو وقت مناجاة الاحبة الثاني ان الله تعالى كرم جماعة من أنبيائه بأنواع الكرامات ليلا فقال تعالى في قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما جن عليه الليل رأى كوكبا وفي قصة لوط عليه الصلاة والسلام « فأسر بأهلك بقطع من الليل » وفي قصة يعقوب عليه الصلاة والسلام « سوف أستغفر لكم ربي » وكان آخر دعائه الى وقت السحر من ليلة الجمعة، وقرب الله موسى عليه الصلاة والسلام نجيا ليلا وذلك كما قال تعالى « اذ قال لاهله امكثوا اني آنست نارا » وقال « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة » وقال له لما أمره بخروجه من مصر ببنى اسرائيل « فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون » واكرم نبينا عليه الصلاة والسلام ليلا أيضا بامور: منها انشقاق القمر وايمان الجن به ورأى الصحابة آثار نيرانهم كما ثبت في صحيح مسلم وخرج الى الغار ليلا عند الهجرة الى المدينة . الثالث ان الله قدم ذكر الليل على النهار في غير ما آية فقال « وجعلنا الليل والنهار آيتين » وقال « ولا الليل سابق النهار » والوقوف ليلة النحر يغنى عن الوقوف نهارا

دون العكس . الرابع ان الليل أصل ولذلك كان أول الشهور العربية من الليل وسواد الليل يجمع ضوء البصر ويحد كليل النظر ويستلذ فيه بالسمر ويجتلى فيه ضوء القمر . الخامس انه لا ليل الا ومعه نهار وقد يكون نهار بلا ليل وهو يوم القيامة الذي مقداره خمسون الف سنة . السادس ان الليل محل استجابة الدعاء والغفران والعطاء فان قلت ورد في الحديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم عرفة ويوم الجمعة،قلت قالوا ذلك بالنسبة الى الايام فان ليلة القدر خير من الف شهر وقد دخل في هذه الليلة أربعة آلاف يوم جمعة بالحساب الجلي فتأمل هذا الفضل الخفي . السابع ان أكثر سفره ﷺ كان ليلا وقال عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل . والثامن لينفي عنه ما ادعته النصارى في عيسى عليه الصلاة والسلام من البنوة لما رفع نهارا تعالى الله عن ذلك . التاسع ان الليل وقت الاجتهاد في العبادة وكان ﷺ قام حتى تورمت قدماه وكان قيام الليل في حقه واجبا وقال تعالى في حقه يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا الآية فلما كانت عبادته ليلا اكرم بالاسراء فيه وأمره الله بقوله « ومن الليل فتهجد به » العاشر ليكون أجر المصدق به اكثر ليدخل فيمن آمن بالغيب دون من عاينه نهارا

ومنها ماقيل انه ذكر في الحديث الذي أخرجه البخارى في كتاب الصلاة ان صدره غسل بماء زمزم وفي غيره غسل قلبه بالثلج والجواب ان الغسل كان مرتين مرة بالثلج ومرة بماء زمزم . والمراد من الصدر القلب فغسل بالثلج أولا ليثلج اليقين في قلبه وهذا لدخول الحضرة القدسية . وقيل غسل قلبه بالثلج كان في صغره ليصير قلبه مثل قلوب اخوانه الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الانشراح وغسل ثانيا بماء زمزم ليصير حاله كحال الملائكة

ومنها ماقيل: ماهي الحكمة في الاسراء والمعراج؟ والجواب انه انما كان للمناجاة ولهذا كان من غير مواعدة وهذا أوقع وأعظم ، وكان التكليم مع موسى عن

مواعدة وموافاة فأين ذلك من هـذا ، وشتان مابين المقامين وبين من دعى الى أعلى البيت المعمور وبين من سخرت له الريح مسيرة شهر وبين من ارتقى من الفرش الى العرش في ساعة زمانية.وأيضاالحكمة فيما ذكر أن يشاهد عالم السموات العلى وما فوق ذلك كما شاهد الارض حين طيف به فتتم سياحته في العالمين العلوى والسفلى والله أعلم

ومنها ماقيل :انه عليه الصلاة والسلام عرج به على دابة يقال لها البراق كما جاء في بعض الروايات فما الحكمة في ذلك مع ان الله قادر على رفعه في طرفة عين بلا براق؟والجواب ان ذلك كان للتأنيس كالمعتاد في سفر العباد،والقلب الى ذلك أميل ، وعرج به لكرامة الراكب على غيره ولذلك لم ينزل عنه على ماجاء في حديث حذيفة بل مازال على ظهر البراق حتى رجع . وانما لم يذكر في الرجوع العلم به من قرينة الصعود .وسمى براقا لسرعته تشبيها ببرق السحاب لا محص

ومنها ماقيل:لم كان البراق على شكل البغل دون الخيل مع ان الخيل أفضل وأحسن؟والجواب كان الركوب في السلم والأمن لافي الخوف والحرب ولاسراعه عادة وتحقيق ثباته وصبره وقوته فلذلك كان عليه الصلاة والسلام يركبه في الحرب كما في قصة حنين لتحقيق ثباته في مواطن الحرب وأما ركوب الملائكة الخيل فلانه المعهود في الحروب ، وما لطف من البغل واستدار واعتاد الكر والفر أحسن من الخيل في الوجوه التي ذكرناها

ومنها ماقيل كيف يتصور الصعود الى السموات وما فوقها والجسم الانساني كثيف؟والجواب ان الارواح أربعة أقسام : الاول الارواح الكدرة بالصفات البشرية وهى أرواح العوام غلبت عليها القوى الحيوانية فلا تقبل العروج أصلا مع أجسادها والثاني الارواح التى لها كمال القوة النظرية للبدن باكتساب العلوم وهذه أرواح العلماء،والثالث الارواح التى لها القوى المدبرة للبدن باكتساب

الاخلاق الحبيثة وهذه أرواح المرتاضين اذ كسروا قوى أبدانهم بالارتياض والمجاهدة، والرابع الارواح التى حصل لها كال القوتين فهذه غاية الارواح البشرية وهى أرواح الانبياء والصديقين فكلما ازدادت قوة أرواحهم ازداد ارتفاع أبدانهم من الارض وغلبت ملكيتهم على بشريتهم وصارت أبدانهم تابعة لارواحهم ـ ولهـذا لما قويت أرواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على وجه ماذكر عرج بهم الى السماء ولم تكن أبدانهم مانعة من ذلك ، وأكملهم قوة في ذلك نبينا ﷺ فعرج به الى قاب قوسين أو أدنى

***

وهذا آخر مايسر الله كتابته في قصة المعراج أخذاً من صحيح البخارى وشراحه وغيرها من الـكتب الصحيحة . جعله الله مقبولا لديه نافعا للمسلمين خصوصاً طلبة العلم المحصلين على يد كاتبه محمد بخيت المطيعى الحنفي غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين آمين

(استدراك) على ما قاله ابن اسحق ونافع بن جبير المذكور في ص ٤٨ بعد قوله جمعا بين الروايات : لـكن مقتضى الجمع بين ما قاله ابن اسحق وبين ما قاله نافع بن جبير بأن ما صلاه جبريل مع النبي أولا وصلاه النبي مع خديجة ثانياً كان حين زالت الشمس الخ ينافي ما قدمناه من أن خديجة لم تصل الخمس وماتت قبل الهجرة بثلاث ، سنين فان هذا يدل على انها ماتت قبل المعراج فلا يمكن أن تكون التي صلاها جبريل مع النبي أولا وصلاها النبي مع خديجة ثانياً حين زالت الشمس من يوم ليلة الاسراء فتعين ان ماقاله ابن اسحق ضعيف أو محمول على صلاة أخرى كانت قبل ليلة الاسراء وقبل وفاة خديجة

في ص ٦ سطر ١٨ الثانية السنة . صوابه « السنة الثانية »

في ص ٣٥ سطر ٨ عله ا‍ـ

في ص ٥١ سطر ٢٠ بعضهم صوابه بعضهم

في ص ٥٥ سطر ٨ ما يشاء ويثبت صوابه ما يشاء منه ويثبت

في ص ٥٥ سطر ١٥ آخر دعائه صوابه أخر دعاءه

في ص ٥٧ سطر ١ المقامين وبين صوابه المقامين وبين من كلم على الطور وبين